

من كليات رسائل النور

« الكلمة العاشرة »

رسالة

الحياة

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بديع الزمان

سعيد النورسي

ترجمة

إحسان قاسم الضاحي

رسالة
الحشر

الطبعة الثانية

« منقحة »

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة العاني - بغداد

من كليات رسائل النور
« الكلمة العاشرة »

رسالة
الحياة

بَدِيعُ الزَّمَانِ
سَعِيدُ النُّورِ

ترجمة
إحسان قاسم الضاحي



نَفْسِيْلِمِ

في أحد أيام الربيع الزاهر ٠٠ وعلى ضفاف بحيرةٍ وادعةٍ هادئةٍ ممتدة إلى الأفق ، كان الاستاذ سعيد النورسي سارحاً بنظره في تأمل عميق نحو مياه البحيرة الملساء ، وقمم الجبال الشامخة الوعرة ، المكسوة بالغابات الكثيفة ، والخضرة المزدانة بأنواع الأزهار والرياحين ، فملكته فؤاده روعة المنظر ، وجمال الوجود ، ودقة الصنعة ، وأخذته الدهشة من انبعاث الحياة في كل ما حوله من جمادات ونباتات وسريان روح الربيع الزاهية بعد ان كانت ملفعة طوال ايام الشتاء بأكفان الجليد ٠٠ فبدأ يردد - دون اختيار منه - قول الله سبحانه وتعالى : (فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُنْحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيٍ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) زهاء أربعين مرة ، وهو يذرع جانباً من ضفاف بحيرة « بارلا » جيئةً وذهاباً ، حتى شرح الله سبحانه صدره ، وقذف في قلبه نوراً من فيض هذه الآية الكريمة . فأخذت المعاني الجليلة تسلك سبيلها إلى نفسه . فما كان منه إلا أن أملى هذه المعاني على أحد تلامذته ٠٠ فكانت هذه الرسالة .

كان ذلك في سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٦) والاستاذ النورسي تحت الإقامة الجبرية في « بارلا » تلك القرية النائية على سفح جبال طوروس ، جنوب غربي تركيا ومن أعمال ولاية « اسبارطة » .

● وقد ولد النورسي في قرية « نورس » القريبة من بحيرة « وان » في سنة (١٢٩٣هـ) الموافق ١٨٧٣م . ونشأ في بيت يسوده الورع والتقوى . وانخرط في صباه سلك الطلبة في المدارس الدينية ، ونهل من منابع العلوم الاسلامية جميعها ، ثم أخذ بناصية العلوم الحديثة ، بما حباه الله من ذكاء خارق ، حتى لقب بـ « بديع الزمان » .

قاد فرق الانصار المتشكلة من المتطوعين ومن طلابه ، ضد الروس في الحرب العالمية الاولى ، وألف اثنائها - وهو في ميادين القتال وحفر الخنادق - تفسيره القيم « اشارات الاعجاز في مظان الايجاز » باللغة العربية، ووقع في الاسر فادركته عناية الله في هذه المحنة فتمكن من الفرار والعودة الى بلده بعد سنتين واربعة اشهر في الأسر ، وعيّن عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو « دار الحكمة الاسلامية » . ألف في هذه الفترة أحد عشر مؤلفاً باللغة العربية ، يدور كلها حول العقيدة واعجاز القرآن العظيم ..

وما ان دخل الحلفاء استانبول محتلين ، وتهيات الوسائل لحرب التحرير ضدهم ، حتى كان في مقدمة صفوف المجاهدين .. وعندما اتجهت الدولة الناشئة نحو الغرب ، وانجرفت مع تياره ، واستبدلت بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وأحدثت الاذان بالتركية ، وفرضت الزي الاوروبي ، واتجهت نحو طمس العقيدة الاسلامية في نفوس الناشئة ، أدرك الاستاذ النورسي ان ميدان الجهاد قد انحصر في تربية النفوس على معاني الايمان وتثبيت القلوب على العقيدة ، والقيام بما يؤدي الى احتفاظ المسلم بشخصيته الاسلامية فانكب على املاء « رسائل النور » باللغة التركية ، والتي تعالج هذه النواحي على طلابه ومحبيه ، كلما وجد الى ذلك سبيلا . واتمها خلال (٢٣) سنة التي قضاها بين الحبس والتشريد والنفي ، الى

ان اختاره الله عزّ وجل لجواره في ليلة القدر في سنة ١٣٧٩ من الهجرة
الموافق ٢٣ مارت سنة ١٩٦٠ من الميلاد .

و « رسائل النور » تنوف على مئة وثلاثين رسالة ومجموعها تشكل
« كليات رسائل النور » في نحو ستة آلاف صفحة . و « رسالة الحشر »
هذه هي أول ما أُلّف من هذه الرسائل . وهي « الكلمة العاشرة » من
ثلاثٍ وثلاثين كلمة التي يتضمنها كتاب « سوزلر » أي « الكلمات » .
وفقنا المولى الكريم على القيام بترجمتها ، مع قصر باعنا ومحدودية ادراكنا
لما في أصل الرسالة من بلاغة القول ، ودقة الاداء ، وسمو المعاني .
نسأله سبحانه القبول ، وهو السميع العليم .

احسان قاسم الصالحي

الكلمة العاشرة
من كتاب « سوزلر »
« الكلمات »

رسالة
الحياة

تنبيه

ان سبب ايرادى التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو : الوصول الى تقريب المعاني الى الأذهان من ناحية ، وإظهار مدى معقولية الحقائق الاسلامية ومدى تناسبها ورعائتها من ناحية أخرى ، فمغزى الحكايات انما هو الحقائق التي تنتهي اليها ، والتي تدل عليها كناية .
فهي اذن ليست حكايات خيالية وانما حقائق صادقة .

سعيد النورسي

ملحوظة :

ان الهوامش الواردة في هذه الرسالة ايضاحات مهمة وتعليقات دقيقة تعتبر من صميم البحث ، كتبها الاستاذ النورسي نفسه ، ولا دخل لنا سوى ترجمتها بأمانة ، الا ما كانت مذيّلة باسم « المترجم » .
اما العناوين الفرعية المحصورة بين قوسين مزدوجين فليست من النص .
« المترجم » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ
كَيْفَ تَحْبِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِي الْمَوْتِ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة الروم / ٥٠)

[أخى :

إن رمتَ ايضاح أمر الحشر وبعضَ شؤون الآخرة على وجهٍ يلائم
فهمَ عامة الناس ، فاستمع اذن معي الى هذه الحكاية القصيرة] .

ذهب اثنان معاً الى مملكة رائعة الجمال كالجنة (التشبيه هنا للدنيا)
واذا بهما يريان ان أهلها قد تركوا ابواب بيوتهم وحوانيتهم ومحلاتهم
مفتوحة لا يهتمون بحراستها فالاموال والنقود في متناول الايدي دون
ان يحميها أحد . بدأ أحدهما - بما سؤلت له نفسه - يسرق حيناً ويفصب
حيناً آخر مرتكباً كل انواع الظلم والسفاهة ، والاهلون لا يبالون به كثيراً .
فقال له صديقه :

« ويحك ماذا تفعل ؟ انك ستنال عقابك ، وستلقيني في بلايا ومصائب .
فهذه الاموال هي أموال الدولة ، وهؤلاء الاهلون قد اصبحوا - بعوائلهم
واطفالهم - جنود الدولة أو موظفيها ، ويُستخلمون في الوظائف بجزّهم
المدنية ، ولذلك لم يُبالوا بك . إعلم أن النظام هنا صارم ، فعيون السلطان
ورقباءؤه وهواتفه في كل مكان . أسرع يا صاحبي بالاعتذار وبادر الى
التوسل » . ولكن صاحبه الأبله عاند قائلاً :

« دعني يا صاحبي ، فهذه الاموال ليست أموالاً للدولة ، بل هي
أموال مشاعة ، لا مالك لها . يستطيع كل واحد ان يتصرف فيها كما يشاء .
فلا أرى ما يمنعني من الاستفادة منها ، أو الانتفاع بهذه الاشياء الجميلة

المنشورة امامي . واعلم اني لا اصدق بشيء لا تراه عيناى ، . . وبدأ
يتفلسف ويتفوه بما هو من قبيل السفسطة . وهنا بدأت المناقشة الجادة
بينهما ، وأخذ الحوار يشتد ، اذ سأل المغفل :

— « وما السلطان ؟ فانا لا أعرفه » . فرد عليه صاحبه :

— « انك بلا شك تعلم انه لا يمكن وجود قرية بلا مختار ، ولا إبرة بلا
صانع بلا مالك ، ولا حرف بلا كاتب . فكيف يسوغ لك القول : انه
لا حاكم ولا سلطان لهذه المملكة الرائعة المنتظمة المنسقة ؟ وكيف تكون هذه
الاموال الطائلة والثروات النفيسة الثمينة بلا مالك ، حتى كأن قطاراً
مشحوناً بالارزاق الثمينة يأتي كل ساعة ويفرغ هنا ثم يذهب (١) !
أو لا ترى في أرجاء هذه المملكة اعلانات السلطان وبياناته ، واعلامه التي
ترفرف في كل ركن ، وختمه الخاص وسكنته وطرقته على الاموال كلها ،
فكيف تكون مثل هذه المملكة دون مالك ؟ . . . يبدو انك تعلمت شيئاً من
لغة الافرنج ، ولكنك لا تستطيع قراءة هذه الكتابات الاسلامية ولا ترغب ان
تسأل من يقرأها ويفهما ، فتعال اذن لاقرأ لك أهم تلك البلاغات والوامر
الصادرة من السلطان . . فقطاعه ذلك المعاند قائلاً :

— لنسلم بوجود السلطان ، ولكن . . ماذا يمكن ان تضره وتنقص من
خزائنه استفادتي القليلة هذه ؟ ثم اني لا أرى هنا عقاباً من سجن أو غيره !
أجابه صاحبه :

— « يا هنا ، ان هذه المملكة التي نراها ما هي الا ميدان إمتحان واختبار ،
وساحة تدريب ومناورة ، وهي معرض صنائع السلطان البديعة ، ومضيف
مؤقت جداً . . . ألا ترى انه تأتي يومياً قافلة وترحل أخرى وتغيب ؟

(١) اشارة الى فصول السنة حيث الربيع يشبه شاحنة قطار مملوءة
بالاغذية وهو يأتي من عالم الغيب .

فهذا هو شأن هذه المملكة العامرة ، انها تملأ وتخلى باستمرار ، وسوف تفرغ نهائياً وتبدل بأخرى باقية دائمة ، وينقل اليها الناس جميعا ، فيثاب أو يعاقب كل حسب عمله ..

ومرة اخرى تمرّد صديقه الحائر قائلاً :-

« أنا لا أؤمن ولا اصدق ! فهل يمكن ان تباد هذه المملكة العامرة ، ويرحل عنها أهلها الى ملكة اخرى ؟ » وعندها قال له صديقه الناصح الامين :
« يا صاحبي ما دمتّ تعاند هكذا وتصرّ فتعال أبين لك دلائل لا تعد ولا تحصى مجمّلة في « اثنتي عشرة صورة » تؤكد لك ان هناك محكمة كبرى حقاً ، وداراً للثواب والاحسان ، واخرى للعقاب والسجن ، وانه كما تفرغ هذه المملكة من أهلها يوماً بعد يوم ، فسيأتي يوم تفرغ فيه منهم نهائياً وتباد كلياً . »

« صور دالّة على الحشر »

الصورة الأولى

أمن الممكن : ان سلطنة - ولاسيما كهذه السلطنة العظمى - لا يكون فيها ثوابٌ للمطيعين ولا عقابٌ للعاصين ؟ ٠٠ ولما كان العقاب والثواب في حكم المعلوم في هذه الدار فلا بد اذن من محكمةٍ كبرى في دارٍ أخرى .

الصورة الثانية

تأمل سيرَ الاحداث والاجراءات في هذه المملكة ، كيف يوزّع الرزق رعداً حتى على أضعف كائن فيها وأفقره ، وكيف ان الرعاية تامة والمواساة دائمة لجميع المرضى الذين لا معيل لهم ! - وانظر الى الاطعمة الفاخرة ، والالوان الجميلة ، والأوسمة المرصعة ، والملابس المزركشة ٠٠ فالموائد العامرة ماثورة في كل مكان ٠٠٠ وانظر ! الجميع يتقنون واجباتهم ووظائفهم - إلا أنت وأمثالك من البلهاء - فلا يتجاوز أحد حده قيد أنملة ، فأعظم شخص يؤدي ما أنيط به من واجب بكل تواضع ، وفي غاية الطاعة ، تحت ظل جلال الهيبة والرهبة ٠ اذن فما ليك هذه السلطنة ومليكه ذو كرم عظيم ، وذو رحمة واسعة ، وذو عزة شائعة ، وذو غيرة جليلة ظاهرة وذو شرف سامٍ . ومن المعلوم ان الكرم يستوجب إنعاماً ، والرحمة لا تحصل دون احسان ، والعزة تقتضي الغيرة ، والشرف السامي يستدعي تأديب المستخفين ، بينما لا يتحقق - في هذه المملكة - جزء واحد من ألف مما يليق بتلك الرحمة

ولا بذلك الشرف • فيرحل الظالم في عزته وجبروته ويرحل المظلوم في ذلّه وخضوعه •
فالقضية اذن مؤجلة الى محكمة كبرى •

الصورة الثالثة

انظر ، كيف تُنجز الاعمال هنا بحكمة فائقة وبانتظام بديع ، وتأمل كيف يُنظر الى المعاملات بمنظار عدالةٍ حقّة وميزانٍ صائب • ومن المعلوم ان حكمة الحكومة وفطنتها هي في اللطف بالذين يحتمون بحماها وتكريمهم • والعدالة المحضة تتطلب رعاية حقوق الرعية ، لتصان هيبة الحكومة وعظمة الدولة •• غير انه لا يبدو هنا إلا جزء " ضئيل " من تنفيذ ما يليق بتلك الحكمة ، وبذلك العدالة • فأمثالك من الغافلين سيفادرن هذه المملكة دون أن يرى اغلبهم عقاباً •
فالقضية اذن مؤجلة بلا شبهة الى محكمة كبرى •

الصورة الرابعة

انظر الى ما لا يعد ولا يحصى من الجواهر النادرة المعروضة في هذه المعارض ، والاطعمة الفريدة اللذيذة المزيّنة بها الموائد ، مما يُبرز لنا : أن سلطان هذه المملكة له سخاء غير محدود ، وله خزائن ملأى لا تنضب •• ولكن مثل هذا السخاء الدائم ، ومثل هذه الخزائن التي لا تنفد ، يتطلبان حتماً دار ضيافة خالدة أبدية ، فيها ما تشتهيهِ الانفس • ويقتضيان كذلك خلود المتنعمين المتلذذين فيها ، من غير ان يدقوا ألم الفراق والزوال ، اذ كما ان زوال الألم لذّة فزوال اللذّة ألم كذلك •• وانظر الى هذه المعارض ، ودقق النظر في تلك الاعلانات ، واصغ جيداً الى هؤلاء المنادين الدعاء الذين يصفون عجائب مصنوعات السلطان - ذي المعجزات - ويعلنون عنها ،

ويظهرون كماله ، ويفصحون عن جماله المعنوي الذي لا نظير له ، ويذكرون لطائف حسنه المستتر .

فلهذا السلطان اذن كمال محيّر ، وجمال معنوي رائع ، يبعثان على الاعجاب . ولاشك ان الكمال المستتر الذي لا نقص فيه يقتضي اعلانه على رؤوس الاشهاد من المعجبين المستحسنين ، ويتطلب اعلانه امام انظار المقدّرين لقيّمته . أما الجمال الخفي الذي لا نظير له ، فيستلزم الرؤية والاطهار ، اي رؤية جماله بوجهين :

احدهما : رؤيته بذاته جماله في كل ما يعكس هذا الجمال من المرايا المختلفة .

ثانيهما : رؤيته بنظر المشاهدين المشتاقين والمعجبين المستحسنين له . وهذا يعني ان الجمال الخالد يستدعي رؤية ، وظهوراً ، مع مشاهدته دائمة ، وشهوداً أبدياً . وهذا يتطلب حتماً خلود المشاهدين ، لأن الجمال الخالد لا يرضى بالمشتاق الزائل . ولأن المشاهد الذي يشعر بالزوال - اي بعدم العودة الى الحياة - فان تصور الزوال يبدل محبته عداً ، واعجابه استخفافاً ، وتوقيره اهانةً ، اذ الانسان عدو لما يجهل ولما يقصر عنه . ولما كان الجميع يفادرون دور الضيافة هذه بسرعة ويفيئون عنها بلا ارتواء من نور ذلك الجمال والكمال ، بل قد لا يرون إلا ظلالاً خافتة منه عبر لمحات سريعة .

فالرحلة اذن منطلقة الى مشهد دائم خالد .

الصورة الخامسة

تأمل ، كيف أن لهذا السلطان - الذي لا نظير له - رافة عظيمة تتجلى في خضم هذه الأحداث والامور ، اذ يغيث الملهوف المستغيث ، ويستجيب

الداعي المستجير ، وإذا ما رأى أدنى حاجة لأبسط فرد من رعاياه فإنه يقضيها بكل رأفة وشفقة ، حتى أنه يرسل دواء أو يهيئ بيطاراً لاسعاف قدم نعمة من النعاج .

هيا بنا يا صاحبي لنذهب معاً الى تلك الجزيرة ، حيث تضم جمعاً غفيراً من الناس . فجميع اشراف المملكة مجتمعون فيها . انظر فيها هو ذا مبعوث كريم للسلطان متقلد أعظم الأوسمة وأعلاها يرتجل خطبة يطلب فيها من مليكه الرؤوف أموراً ، وجميع الذين معه يوافقونه ويصدقونه ويطلبون ما يطلبه .

أنصت لما يقول حبيب الملك العظيم ، انه يدعو بأدب جم وتضرع ويقول :

« يا من أسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنة ، يا سلطاننا ، أرونا منابع واصل ما أريت لنا من نماذج وظلال ... خذ بنا الى مقر سلطنتك ولا تهلكنا بالضياع في هذه الغلاة ... اقبلنا وارفعنا الى ديوان حضورك ... ارحمنا ... اطعمنا هناك للاند ما أذقتنا اياه هنا ، ولا تعذبنا بالأم التنائي والطرد عنك ... فما هم اولاء رعيتك المشتاقون الشاكرون المطيعون لك ، لا تتركهم تائهين ضائعين ، ولا تفنيهم بموت لا رجعة بعده » .

أسمعت يا صاحبي ما يقول ؟ ترى أمن الممكن لمن يملك كل هذه القدرة الفائقة ، وكل هذه الرأفة الشاملة ، ان لا يعطي ما يرغب فيه مبعوثه الكريم لديه ، ولا يستجيب لأسمى الغايات وانبل المقاصد ؟ وهو الذي يقضي أدنى رغبة لأصغر فرد من رعاياه ؟ مع أن ما يطلبه هذا المبعوث الكريم لتحقيق " لرغبات الجميع ومقاصدهم ، وهو من مقتضيات عدالته ورحمته ومرضاته . ثم انه يسير عليه وهين ، فليس هو بأصعب مما عرضه من نماذج في متنزهات هذه المملكة ومعارضها . فما دام قد انفق نفقات

باهظة وأنشأ هذه المملكة لعرض نماذجه عرضاً مؤقتاً ، فلا بد أنه سيُعرض في مقر سلطنته من خزائنه الحقيقية ، ومن كمالاته وعجائبه ما يبهر العقول .

اذن فهؤلاء الذين هم في دار الامتحان هذه ليسوا عبثاً ، وليسوا سدى ، بل تنتظرهم قصور السعادة السرمدية الغالبة ، أو غياهب السجون الابدية الرهيبة .

الصورة السادسة

تعال ، وانظر الى هذه القاطرات الضخمة ، والى هذه الطائرات المشحونة والى هذه المخازن الهائلة الملوثة ، والى هذه المعارض الانيقة الجذابة . . . وتأمل في الاجراءات وسير الامور . . انها جميعاً تبين ان هناك سلطنة عظيمة حقاً (١) تحكم من وراء ستار . فمثل هذه السلطنة

(١) فكما ان الجيش الهائل في ميدان المناورات ، أو مباشرة الحرب ، يتحول الى ما يشبه غابة أشواك ، بمجرد تسلمه أمر : « خذوا السلاح ، ركبوا الحِراب » ، وكما يتحول المعسكر برمته - في كل عيد وعرض عسكري - الى ما يشبه حديقة جميلة ذات أزهار ملونة بمجرد تسلمه أمر : « احملوا شاراتكم ، تقلّبوا أوسمتكم » . . . كذلك أمر النباتات - غير ذات الشعور - والتي هي نوع من جنود غير متناهية لله سبحانه - كما ان الملائكة والجن والانس والحيوان جنوده - فهي عندما تتسلم أمر « كن فيكون » اثناء جهادها لحفظ الحياة وتؤمر بالامر الالهي « خنوا اسلحتكم وعتادكم لأجل الدفاع » تهيم الاشجار والشجيرات المشوكة رميحاتها ، فيتحول سطح الارض الى ما يشبه المعسكر الضخم المدجج بالسلاح الابيض .

وهكذا فكل يوم من ايام الربيع ، وكل اسبوع فيه ، هو بمثابة عيد لطائفة من طوائف النباتات ، لذا تظهر كل طائفة منها ما وهبه لها سلطانها من هدايا جميلة ، وما أنعم عليها من أوسمة مرصعة ، فتعرض نفسها - بما يشبه العرض العسكري - امام نظر السلطان الازلي واشهادته ، كأنها تسمع امراً ربانياً : « تقلّبوا مرصعات

تقتضي حتماً رعايا تليق بها • بينما تشاهد انهم قد اجتمعوا في هذا المضيف
- مضيف الدنيا - والمضيف يودّع يومياً صنوفاً منهم ويستقبل صنوفاً •
وهم قد حضروا في ميدان الامتحان والاختبار هذا ، غير أن الميدان يُبدّل
كل ساعة ، وهم يلبثون قليلاً في هذا المعرض العظيم ، يتفرجون على نماذج
آلاء المليك الثمينة وعجائب صنعته البديعة ، غير ان المعرض نفسه يحوّل
كل دقيقة ، فالراجل لا يرجع والقابل يرحل كذلك ••• فهذه الامور تبين
بشكل قاطع : ان وراء هذا المضيف الفاني ، ووراء هذه الميادين المتبدلة ،
ووراء هذه المعارض المتحوّلة ، قصور دائمة خالدة ، ومساكن طيبة ابدية ،
وجنّات مملوءة بحقائق هذه النماذج ، وخزائن مشحونة باصولها •

فالاعمال والافعال هنا اذن ما هي الا لأجل ما أعدّ هنالك من جزاء •
فالملك القدير يكلف هنا ويشيب ويجازي هناك فلكل فرد لون من السعادة
حسب استعداده وما اقدم عليه من خير •

الصورة السابعة

تعال ، لنتنزه قليلاً بين المدينين من الناس لنلاحظ احوالهم ،
وما تجري حولهم من امور • انظر ، فما قد نُصِبَت في كل زاوية آلات
تصوير عديدة تلتقط الصور ، وفي كل مكان كتّاب كثيرون يسجلون كل شيء ،
حتى أهون الامور • هيا انظر الى ذاك الجبل الشاهق فقد نصبت عليه آلة

الصنعة الربانية ، واوسمة الفطرة الالهية التي هي الازهار
والشمار ••• وفتّحوا الازهار ، • عندئذ يعود سطح الارض كأنه
معسكر عظيم في يوم عيد بهيج ، وفي استعراض هائل رائع تزخر
بالاوسمة البراقة والشارات اللامعة •

فهذا الحشد من التجهيز الحكيم وهذا المدى من العتاد المنظم وهذا
القدر من التزيين البديع يُري - لمن لم يفقد بصره - انه أمر سلطان
قدير لا ينتهي لقدرته ، وأمر حاكم حكيم لا نهاية لحكمته •

تصوير ضخمة تخص السلطان نفسه (١) تلتقط صور كل ما يجري في هذه المملكة . فلقد أصدر السلطان أوامره لتسجيل الامور كلها ، أو تدوين المعاملات في مملكته . وهذا يعني ان السلطان المعظم هو الذي يملئ الحوادث جميعها ، ويأمر بتصويرها ١٠٠ . فهذا الاهتمام البالغ ، وهذا الحفظ الدقيق للأمور ، وراءه محاسبة بلا شك ، اذ هل يمكن لحاكم حفيظ - لا يهمل أدنى معاملة لأبسط رعاياه - أن لا يحفظ ولا يتوّن الاعمال العظيمة لكبار رعاياه ، ولا يحاسبهم ولا يجازيهم على ما صنعوا مع انهم يتقدمون على اعمال تسمى الملك العزيز ، وتتعرض على كبريائه ، وتأباه رحمته الواسعة ؟ . وحيث انهم لا ينالون عقاباً هنا فلا بد انه مؤجل الى محكمته الكبرى .

الصورة الثامنة

تمال ، لأتلو عليك هذه الأوامر الصادرة من السلطان . انظر ، انه يكرر وعده ووعيده قائلاً : لآتين بكم الى مقر سلطنتي ، ولأسعدن المطيعين

(١) لقد وضع قسم من هذه المعاني التي تشير اليها هذه الصورة في « الحقيقة السابعة » . فآلة التصوير الكبرى هنا - التي تخص السلطان - تشير الى اللوح المحفوظ ، والى حقيقته وقد اثبتت الكلمة « السادسة والعشرون » اللوح المحفوظ ، وتحقق وجوده بما يأتي : كما ان الهويات الشخصية الصغيرة ترمز الى وجود سجل كبير للهويات ، والسندات الصغيرة تشعر بوجود سجل اساس للسندات . ورشحات قطرات صغيرة وغزيرة تدل على وجود منبع عظيم ، كذلك فان القوى الحافظة في الانسان ، واثمار الاشجار ، وبدور الثمار ، كل منها بمثابة هويات صغيرة ، وبمعنى « لوح محفوظ صغير » ، وبصورة ترشحات نقاط صغيرة ترشحت من القلم الذي كتب اللوح المحفوظ الكبير . فلا بد ان كلاً منها تشير بوجود الحافظة الكبرى ، والسجل الاكبر ، واللوح المحفوظ الاعظم ، بل تثبتته وتبرزه الى العقول النافذة .

منكم ، ولأزجن العصابة في السجن ، ولأدمرن ذلك المكان الموقت ، ولأنشيان مملكة أخرى خالصة ٠٠٠ علماً ان ما قطعه على نفسه من وعد ، حين عليه ، وهو بالغ الأهمية لرعاياه ، أما إخلاف الوعد فهو منافٍ كلياً لعزته وقدرته . فانظر ايها الغافل : إنك تصدق اكاذيب أوهامك ، وهذيان عقلك ، وخداع نفسك ، ولا تصدق من لا يحتاج الى مخالفة الوعد قطعاً ، ومن لا تليق المخالفة بغيرته وعزته أصلاً ، ومن تشهد الامور كافة على صدقه ٠٠ انك - لاشك - تستحق العقاب العظيم ، اذ إن مثلك في هذا مثل المسافر الذي يغمض عينيه عن ضوء الشمس ، ويستترشد بخياله ، ويريد ان ينسـ طريقه المخيف ببصيص عقله الذي لا يضيء الا كاليراع (ذباب الليل) . وحيث انه قد وعد ، فسيفي بوعده حتماً ، لأن وفاءه سهل عليه وهين ، وهو من مقتضيات سلطنته ، وهو ضروري جداً ، لنا ولكل شيء .

اذن هناك محكمة كبرى ، وسعادة عظمى .

الصورة التاسعة

تعال ، لننظر الى رؤوساء (١) هذه الدوائر ، فقسم منهم يمكنهم الاتصال بالسلطان العظيم مباشرة ، بهاتف خاص . بل لقد ارتقى قسم آخر وسما الى ديوان قدسه ٠٠٠ تأمل ماذا يقول هؤلاء ؟ انهم يخبروننا جميعاً ان السلطان قد أعد مكاناً فخماً رائعاً لكفاة المحسنين وآخر رهيباً لمعاينة المشيئين . وانه يعيد وعداً قوياً ويوعد وعيداً شديداً ، وهو أجل وأعز من أن يذل الى خلاف ما وعد وتوعد . علماً بأن اخبار المخبرين قد

(١) ان المعاني التي تثبتها هذه الاشارة ستظهر في « الحقيقة الثامنة » .
 فمثلاً : أن رؤوساء الدوائر في هذا المثال ترمز الى الانبياء والاولياء .
 أما الهاتف فهو نسبة ربانية ممتدة من القلب الذي هو مرآة الوحي ومظهر الالهام وبمثابة بداية ذلك الهاتف وسماعته .

وصلت من الكثرة الى حد التواتر ومن القوة الى درجة الاتفاق والاجماع .
فهم يبلغوننا جميعاً : بأن مفر هذه السلطنة العظيمة التي نرى آثارها
وملامحها هنا ، انما هو في مملكة اخرى بعيدة . وان العمارات في ميدان
الامتحان هذا بنايات وقتية ، وستبدل الى قصور دائمة ، فتبدل هذه
الارض بغيرها . لأن هذه السلطنة الجليلة الخالدة - التي تعرف عظمتها من
آثارها - لا يمكن ان تقتصر هيمنتها على مثل هذه الامور الزائلة التي
لا بقاء لها ولا دوام ولا قرار ولا قيمة ولا ثبات . بل تستقر على ما يليق
بها وبعظمتها من امور تتسم بالديمومة والاستمرار والخلود .
فاذن هناك دار اخرى . . ولا بد ان يكون الرحيل الى ذلك المقر .

الصورة العاشرة

تعال يا صاحبي ، فالיום يوم عيد ملكي عظيم (١) . . . ستحدث
تبدلات وتغيرات وستبرز أمور عجيبة . . فلنذهب معاً للنزهة ، في هذا
اليوم البهيج من ايام الربيع الى تلك الفلاة المزدانة بالازهار الجميلة . .
انظر ! فهام الناس متوجهون الى هناك . . انظر ! ها هنا امر غريب عجيب ،
فالعمارات كلها تنهار وتتخذ شكلاً آخر ! حقاً انه شيء معجز ! اذ العمارات
التي انهارت قد أعيد بناؤها فوراً ، وانقلبت هذه الفلاة الخالية الى مدينة

(١) ستري ما ترمز اليه هذه الصورة في « الحقيقة التاسعة » . فيوم
العيد - مثلاً - اشارة الى فصل الربيع ، أما الفلاة المزدانة بالازهار
فاشارة الى سطح الارض في موسم الربيع ، أما المناظر والمشاهد
المتغيرة في الشاشة ، فالمقصود منها انواع ما يخرج الربيع والصيف
من الارزاق الخاصة بالحيوان والانسان التي يقدمها الصانع القدير
ذو الجلال والفاطر الحكيم ذو الجمال ، والذي يغيرها بانتظام كامل
ويجدها برحمة تامة منه سبحانه ، ويرسلها في فترات متعاقبة
متتالية ابتداء من اول الربيع الى انتهاء الصيف .

عامرة ! انظر ٠٠ انها تريك كل ساعة مشهداً جديداً وتتخذ شكلاً غير شكلها السابق - كشاشة السينما - لاحظ الأمر بدقة لترى روعة هذا النظام المتقن في هذه الشاشة التي تختلط فيها المشاهد بكثرة وتتغير بسرعة ، فهي مشاهد حقيقية يأخذ كل شيء مكانه الحقيقي في غاية الدقة والانسجام ، حتى المشاهد الخيالية لا تبلغ هذا الحد من الانتظام والروعة والاتقان ، بل لا يستطيع ملايين الساحرين البارعين من القيام بمثل هذه الاعمال البديعة ، اذن فالسلطان العظيم المستور عنا الشيء الكثير من الامور الخارقة ٠

فيا أيها المغفل ! انك تقول : « كيف يمكن ان تدمر هذه المملكة العظيمة وتعمّر من جديد في مكان آخر ؟ » ٠

فها هو ذا أمامك ما لا يقبله عقلك من تقلبات كثيرة وتبدلات مذهلة ، فهذه السرعة في الاجتماع والافتراق ، وهذا التبدل والتغير ، وهذا البناء والهدم ٠٠٠ كلها تنبئ عن مقصد ، وتنطوي على غاية ، اذ يُصرف لأجل اجتماع في ساعة واحدة ما ينفق لعشرة سنوات ! فهذه الاوضاع اذن ليست مقصودة لئلاها ، بل هي امثلة ونماذج للمعرض هنا ٠ فالسلطان ينهي اعماله على وجه الاعجاز ، كي تؤخذ صورها ، وتُحفظ نتائجها وتُسجل - كما تُسجل وتُحفظ كل الاوامر في ميدان المناورات العسكرية - فالامور والمعاملات اذن ستجرى في الاجتماع الاكبر وتستمر وفق ما كانت هنا ٠ وستعرض تلك الامور عرضاً مستمراً في المشهد الاعظم والمعرض الاكبر ٠ أي أن هذه الاوضاع الزائلة تنتج ثماراً باقية وتولد صوراً خالدة هناك ٠

فالمقصود من هذه الاحتفالات اذن هو بلوغ سعادة عظمى ، ومحكمة
كبرى ، وغايات سامية مستورة عنا •

الصورة الحادية عشرة

تعال أيها الصديق المعاند ، لتركب طائرة أو قطاراً ، لنذهب الى
الشرق أو الى الغرب - أي الى الماضي أو الى المستقبل - لنشاهد ما اظهره
السلطان من معجزات متنوعة في سائر الاماكن • فما رأيناه هنا في المعرض ،
أو في الميدان ، أو في القصر ، من الأمور العجيبة له نماذج في كل مكان ، إلا
انه يختلف من حيث الشكل والتركيب • فيا صاحبي ، أنعم النظر في
هذا ، لترى مدى ظهور إنتظام الحكمة ، ومبلغ وضوح اشارات العناية ،
ومقدار بروز امارات العدالة ، ودرجة ظهور ثمرات الرحمة الواسعة ، في
تلك القصور المتبدلة ، وفي تلك الميادين الفانية ، وفي تلك المعارض الزائلة •
فمن لم يفقد بصيرته يفهم يقيناً : أنه لن تكون - بل لا يمكن تصور -
حكمة أكمل من حكمة ذلك السلطان ولا عناية أجمل من عنايته ،
ولا رحمة أشمل من رحمته ، ولا عدالة أجل من عدالته ••• ولكن لما كانت
هذه المطلقة - كما هو معلوم - قاصرة عن اظهار حقائق هذه الحكمة
والعناية والرحمة والعدالة ، ولو لم تكن هناك في مقر مملكته - كما توهمت -
قصور دائمة ، وأماكن مرموقة ثابتة ، ومساكن طيبة خالدة ، ومواطنون
مقيمون ، ورعايا سعداء - تكون مظهرة لتلك الحكمة والعناية والرحمة
والعدالة ، يلزم عندئذ إنكار ما نبصره من حكمة ، وإنكار ما نشاهده من
عناية ، وإنكار ما نراه من رحمة ، وإنكار هذه الامارات والاشارات للعدالة
الظاهرة البينة •• إنكار كل ذلك بحماقة فاضحة كحماقة من يرى ضوء
الشمس وينكر الشمس نفسها في رابعة النهار ! ويلزم أيضاً القول بأن
القائم بما نراه من اجراءات تتسم بالحكمة وافعال ذات غايات كريمة

وحسنات ملؤها الرحمة انما يلهو ويعبت ، ويفدر - حاشاء ثم حاشاء - .
وما هذا الا قلب الحقائق الى أضدادها ، وهو المحال باتفاق جميع ذوى
العقول غير السوفسطائي الابله الذي يُنكِر وجودَ الاشياء ، حتى وجودَ
نفسه .

فهناك اذن ديار غير هذه الديار ، فيها محكمة كبرى عليا ، وإنصاف
سام ، ومكرمة عظمى ، لتظهر فيها هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العناية
وهذه العدالة بوضوح وجلاء .

الصورة الثانية عشرة

تعال فلنرجع الآن يا صاحبي ، لنلتقي ضباطَ هذه الجماعات
ورؤساءها ، انظر الى معدّاتهم ، ٠٠٠ أزودوا بها لقضاء فترة قصيرة
من الزمن في ميدان التدريب هذا ، أم انها وُهِبَت لهم ليقضوا حياة سعيدة
مديدة في مكان آخر ؟ ولما كنا لا نستطيع لقاء كل واحد منهم ، ولا نتسكن
الاطلاع على جميع لوازمهم وتجهيزاتهم ، لذا نحاول الاطلاع على هوية
وسجل أعمال واحد منهم كنموذج ومثال . ففي الهوية نجد رتبة الضابط ،
 ومرتبته ، ومهمته ، وامتيازاته ، ومجال اعماله ، وكل ما يتعلق بأحواله .
لاحظ ، ان هذه الرتبة ليست لأيام معدودة بل لمدة مديدة . . ولقد كتب
في هويته ان يتسلّم مرتبته من الخزينة الخاصة بتاريخ كذا . . . غير أن
هذا التاريخ بعيد جداً ، ولا يأتي الا بعد انتهاء مهام التدريب في هذا
الميدان . . أما هذه الوظيفة فلا توافق هذا الميدان الموقت ولا تنسجم معه ،
بل هي للفوز بسعادة دائمة في مكان سامٍ عند الملك القدير . . . أما
الواجبات فهي كذلك لا يمكن ان تكون لقضاء ايام معدودة في دار الضيافة
هذه ، وانما هي لحياة أخرى سعيدة أبدية . . . يتضح من الهوية بجلاء ، ان
صاحبها مهياً لمكان آخر ، بل يسعى نحو عالم آخر .

انظر الى هذه السجلات التي حدثت فيها كيفية استعمال المعدات والمسؤوليات المترتبة عليها ، فان لم تكن هناك منزلة رفيعة خالدة غير هذا الميدان ، فلا معنى لهذه الهوية المتقنة ، ولا لهذا السجل المنتظم ، ولسقط الضابط المحترم والقائد المكرم والرئيس الموقر الى درك هابط ولقي الشقاء والذلة والمهانة والنكبة والضعف والفقر ٠٠٠ وقس على هذا ٠٠ فأينما أنعمت النظر متأملاً قادمك النظر والتدبر الى: أن هناك بقاء بعد هذا الفناء ٠٠

فيا صديقي ! ان هذه المملكة الموقته ما هي الا بمثابة مزرعة ، وميدان تعليم ، وسوق تجارى ، فلا بد أن تأتي بعدها محكمة كبرى وسعادة عظمى . فاذا انكرتَ هذا ، فسوف تضطر الى انكار كل الهويات والسجلات التي يمتلكها الضابط ، وكل تلك العدد والاعتدة والتعليمات ، بل تضطر الى انكار جميع الأنظمة في هذه المملكة ، بل إنكار وجود المولة نفسها ، وينبغي عند ذلك أن تكذب جميع الاجراءات الحادثة . وعنده لا يمكن ان يقال لك انسان له شعور . بل تكون اذ ذاك أشد حماقة من السوفسطائيين .

* * *

وإياك إياك أن تظن أن دلائل وإشارات تبديل المملكة منحصرة في . اثنتي عشرة صورة ، التي أوردناها ، اذ إن هناك ما لا يعد ولا يحصى من الامارات والادلة على : أن هذه المملكة المتغيرة الزائلة تتحول الى اخرى مستقرة باقية ، وهناك الكثير الكثير من الاشارات والعلامات تدل على : أن هؤلاء الناس سينقلون من دار الضيافة الموقته الزائلة الى مقر السلطنة الدائمة الخالدة .

يا صاحبي تعال لأقرر لك برهاناً أكثر قوة ووضوحاً من تلك البراهين الاثني عشر التي انبأت عنها تلك الصور المتقدمة .

تعال ، فانظر الى المبعوث الكريم ، صاحب الأوسمة الرفيعة الذي شاعدهناه في الجزيرة - من قبل - انه يبلغ أمراً الى الحشود الغفيرة التي تترامى لنا على بُعد ٠ فهيّا نذهب ونصغر اليه ٠٠٠ انتبه ! فيها هو يُفسّر للملأ البلاغ السلطاني الرفيع ويوضحه قائلاً لهم :

« تهاؤوا سترحلون الى مملكة اخرى خالدة ، ما أعظمها من مملكة رائعة ! ان مملكتنا هذه تعدّ كالسجن بالنسبة لها ٠ فاذا ما أصغيتم الى هذا الامر باععان ، ونفقدتموه باتقان ستكونون اهلاً لرحمة سلطاننا واحسانه في مستقره الذي تتجهون اليه ، والا فالزنايات الرهيبة مثواكم جزاء عصيانكم الأمر وعدم اكرائكم به » ٠٠٠ انه يذكر الحاضرين بهذا البلاغ ، وانت ترى على ذلك البلاغ العظيم ختم السلطان الذي لا يُقلد ٠ والجميع يدركون يقيناً - إلا أمثالك من العميان - ان ذلك المبعوث المجنل بالأوسمة الرفيعة هو مبلغ أمين لأوامر السلطان ، بمجرد النظر الى تلك الأوسمة ٠

فيا ترى هل يمكن الاعتراض على مسألة تبديل هذه المملكة التي يدعو اليه ذلك المبعوث الكريم بكل ما أوتي من قوة ، ويتضمنه البلاغ الملكي السامي ؟ كلا ٠ لا يمكن ذلك ابداً ، إلا اذا أنكرت جميع ما تراه من أمور وحوادث ٠

فالآن ايها الصديق ! لك أن تقول ما تشاء ٠ - ماذا عساي أن أقول ؟ وهل بقي مزيد من قول لقائل امام هذه الحقائق ! وهل يقال للشمس وهي في كبد السماء ، اين هي ؟ ٠ ان كل ما أريد أن أقوله هو : الحمد لله ، وألف شكر وشكر ، فقد نجوت من قبضة الاوهام والاهواء ، وتحررت من أسار النفس والسجن الابدي ، فأمنت بأن

هناك دار سعادة عند السلطان المعظم ، ونحن مهياؤن لها بعد هذه الدار
الفانية المضطربة .

* * *

وهكذا تمت الحكاية التي كانت كناية عن الحشر والقيامة . والآن
ننتقل بتوفيق المعلي القدير الى الحقائق العليا ، فسنبينها في « اثنتي عشرة
حقيقة » وهي متساندة مترابطة مقابل الصور الاثنتي عشرة ، بعد ان نبهد
لها بمقدمة .

المقدمة

نشير اشارات فحسب الى بعض المسائل أوضحناها في اماكن اخرى ،
اي في الكلمات الثانية والعشرين ، والتاسعة عشرة ، والسادسة والعشرين .

الإشارة الأولى :

« الكون لابد له من مبدع »

هناك ثلاث حقائق للمغفل ولصديقه الناصح الأمين المذكورين في الحكاية :

الاولى : هي نفسي الامارة وقلبي .

الثانية : متعلمو الفلسفة وتلاميذ القرآن الكريم .

الثالثة : ملة الكفر والامة الاسلامية .

ان عدم معرفة الله سبحانه وتعالى هو الذي أوقع متعلمي الفلسفة وملة
الكفر والنفس الامارة في الضلالة الرهيبة . فمثلاً قال الناصح الأمين
- في الحكاية - انه لا يمكن ان يكون حرف بلا كاتب ، ولا قانون بلا حاكم ،
كذلك نقول :

انه محال ان يكون كتاب بلا كاتب ، ولا سيما كتاب كهذا الذي
تتضمن كل كلمة من كلماته كتاباً خطّ بقلم دقيق ، والذي تحت كل حرف
من حروفه قصيدة دُجّت بقلم رفيع . وكذلك من أمحل المحال أن يكون
هذا الكون من غير مبدع ، حيث ان هذا الكون كتاب على نحر عظيم بحيث
يتضمن كل صحيفة فيه كتباً كثيرة ، لا بل كل كلمة منها فيها كتاب ،

وكل حرف منها فيه قصيدة ٠٠ فوجه الارض صحيفة ، وما أكثر ما فيها من الكتب ! والشجرة كلمة واحدة ، وما أكثر ما فيها من صحائف ! الثمرة حرف ، والبذرة نقطة ٠٠٠ وفي هذه النقطة فهرس الشجرة الباسقة وخطة عملها ٠ فكتاب كهذا لا يمكن ان يكون الا من ابداع قلم صاحب قدرة متصف بالجمال والجلال والحكمة المطلقة ٠ أي أن مجرد النظر الى العالم ومشاهدته يستلزم هذا الايمان ، الا من أسكرته الضلالة ! ٠

ومثلما لا يمكن ان تكون دار بدون بناء ، لاسيما هذه الدار التي زينت بأبداع زينة ، ونقشت بأروع النقوش وأعجبها وشيّنت بصنعة خارقة ، حتى ان كل حجر من أحجارها يتجسم فيه فن ما في البناء كله ٠ فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بدون بناء ماهر ، وبخاصة أنه يشيّد في هذا الديوان - في كل ساعة - مساكن حقيقية في غاية الانتظام والتناسق ، ويغيّرهما بانتظام وسهولة كاملين - كسهولة تبديل الملابس - بل أنه ينشئ في كل ركن غرفاً صغيرة عدة في كل مشهد حقيقي ٠

فلا بد أن يكون لهذا الكون العظيم من خالق حكيم عليم قدير مطلق ، لأن هذا الكون انما هو كالقصر البديع : الشمس والقمر مصابيح ، والنجوم شموعه وقناديله ، والزمن شريط يعلق عليه الخالق ذو الجلال - في كل سنة - عالماً آخر يبرّزه للوجود ، مجدداً فيه صوراً منتظمة في ثلاثمائة وستين شكلاً وطرازاً ، مبدلاً إياه بانتظام تام ، وحكمة كاملة ، جاعلاً سطح الارض مائدة نعيم ، يزيّنها في موسم كل ربيع بثلاثمائة ألف نوع من أنواع مخلوقاته ، ويملؤها بما لا يعد ولا يحصى من آلائه ، مع تمييز كل منها تمييزاً كاملاً ، على الرغم من تداخلها وتشابكها ٠ وقس على هذه الاشياء الامور الاخرى ٠٠ فكيف يمكن التغافل عن صانع مثل هذا القصر المنيف ؟ ٠

ثم ، ما أعظم بلاهة من ينكر الشمس في رابعة النهار ، وفي صحوة السماء ! في الوقت الذي يرى تلالؤ اشعتها ، وانعكاس ضوئها ، على زبد البحر وحبابه ، وعلى مواد البر اللامعة وعلى بلورات الثلج الناصعة ، لأن انكار الشمس الواحدة ورفضها - في هذه الحالة - يستلزم قبول شمسيات حقيقية اصيلة ، بعدد قطرات البحر وبعدد الزبد والحباب وبعدد بلورات الثلج ، ومثلما يكون قبول وجود شمس عظيمة في كل جزيرة - وهي تسع ذرة واحدة - بلاهة ، فان عدم الايمان بالخالق ذي الجلال ، ورفض التصديق بأوصاف كماله سبحانه - مع رؤية هذه الكائنات المنتظمة المتبدلة والمتعاقبة بحكمة في كل آن ، والمتجددة بتناسق وانتظام في كل وقت - ضلالة ادهى ولاشك ، بل هذيان وجنون . . . لأنه يلزم اذ ذاك قبول ألوهية مطلقة في كل شيء ، حتى في كل ذرة ! .

لأن كل ذرة من ذرات الهواء - مثلاً - تستطيع أن تدخل في كل زهرة ، وفي كل ثمرة ، وفي كل ورقة ، وتتمكن ان تؤدي دورها هناك . فلو لم تكن هذه الذرة مأمورة ومسخرة للزم أن تكون على علم بأشكالها تمكنت من الدخول فيه ، وبصورته ، وتركيبه ، وهيئته ، أي يجب ان تكون ذات علم محيط ، وذات قدرة شاملة كي تستطيع القيام بذلك !!

وكل ذرة من ذرات التراب - مثلاً - يمكن ان تكون سبباً لنشوء البذور ونمو أنواعها جميعاً . فلو لم تكن مأمورة ومسخرة للزم أن تحتوي آلات وأجهزة معنوية بعدد انواع الاعشاب والاشجار ، أو يجب منحها قدرة ومهارة بحيث تعلم جميع اشكال تراكيبيها ، فتصنعها ، وتعرف جميع صورها ، فتنسجها . . . وقس على هذا سائر الموجودات ، حتى تفهم أن للوحدانية دلائل واضحة باهرة في كل شيء .

نعم ، ان خلق كل شيء من شيء واحد ، وخلق شيء واحد من كل شيء ، انما هو عمل يخص خالق كل شيء • فتدبر وتأمل في قوله تعالى « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِحَمَلِهِ » • واعلم ان علم الاعتقاد بالاله الواحد الأحد يستلزم الاعتقاد بالهة عدة بعدد الموجودات !

الإشارة الثانية

« وظائف النبوة »

لقد جاء في الحكاية ذكر مبعوث كريم ، وذكر أن من لم يكن أعمى يفهم من رؤية أوسمته : أنه شخص عظيم ، لا يأتى الا بأمر السلطان ، فهو عامله الخاص • • فهذا المبعوث انما هو رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم •

نعم ، يلزم ان يكون لثل هذا الكون البديع ولصانعه القديس ، مثل هذا الرسول الكريم ، كلزوم الضوء للشمس • لانه كما لا يمكن للشمس الا ان تشع ضياءً كذلك لا يمكن للالوهية الا ان تظهر نفسها برسالة الرسل الكرام عليهم السلام •

فهل يمكن أن لا يرغب جمال في غاية الكمال في اظهار نفسه بوسيلة ودليل يعرفه ؟

أم هل يمكن ان لا يطلب كمال في غاية الجمال الاعلان عنه بوساطة يلفت الانظار اليه ؟

أم هل يمكن ان لا تطلب سلطنة كلية لربوبية عامة شاملة اعلان وحدانيته وصمدانيته على مختلف الطبقات بوساطة مبعوث ذي جناحين ؟ أي ذي صفتين : صفة العبودية الكلية ، فهو ممثل طبقات المخلوقات عند الحضرة الربانية • وصفة الرسالة والقرب اليه ، فهو مرسل من لدنه سبحانه الى العالمين كافة •

أم هل يمكن لصاحب جمال مطلق أن لا يروم أن يشهد هو ويشهده خلقه محاسن جماله ولطائف حسنه في مرايا تعكس هذا الجمال : أي بواسطة رسول حبيب ، فهو حبيب لتودده الى الله سبحانه بعبوديته الخالصة . وهو رسول حبيب لأنه يحجب الله سبحانه الى الخلق باظهار جمال اسمائه الحسنى .

أم هل يمكن أن لا يريد من يملك خزائن مشحونة بأغلى الاشياء ، واعجبها وبما يدهش العقول ، اظهار كماله المستتر . وان لا يطلب عرضه على انظار الخلق اجمعين ، وكشفه على مرأى منهم ، بواسطة معرف حاذق ومعلن وصاف ؟

أم هل يمكن لمن زين هذا الكون بمخلوقات معبرة عن كمال اسمائه الحسنى ، وجعله قصراً رائعاً ، وجمّله ببداائع صنعته المذهلة ، وعرضه على الأنظار ، ثم لا يكل أمر ايضاحه الى مرشد معلم رائد ؟

أم هل يمكن أن لا يبين مالك هذا الكون بواسطة رسول : ما الغاية من تحولات هذا الكون وما القصد من هذا الطلسم المطلق ؟ وان لا يجيب بواسطته عن ألفاظ الاسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات ، وهي : من أين ؟ والى أين ؟ ومن تكون ؟

أم هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرف نفسه الى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة ، وحببها اليهم بنعمه الغالية ، أن لا يبين لهم بواسطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه ازاء هذه النعم السابقة ؟

أم هل يمكن للخالق الذي ابتلى النوع الانساني باختلاف المشاعر والاتجاهات ، وهياً استعداداً للعبودية التامة الكلية ، أن لا يطلب توجيه

انظار هذا النوع من الكثرة الى التوحيد بوساطة مرشد مرسل ؟ .
وهكذا فان هناك دلائل اخرى زيادة على ما تقدم ، كلها براهين قاطعة
تبين : « وظائف النبوة ومهامها » ، وتوضح : ان الالهية لا تكون بدون
رسالة .

والآن ، فهل ظهر في العالم من هو اكثر اهلية ، واجمع لتلك
الاصناف والوظائف التي ذكرت ، من محمد الهاشمي صلى الله عليه وسلم ؟
ام هل هناك احدٌ اليق منه صلى الله عليه وسلم لمنصب الرسالة ومهمة
التبليغ ؟ وهل اظهر الزمان احداً اعظم اهلية منه ؟ كلا . . ثم كلا . .
فهو امام جميع المرسلين ، وقررة عين كل الاصفياء ، وسلطان جميع
المرشدين ، وزبدة كل المختارين والمقربين ، صاحب ألوف المعجزات : كشق
القمر ، ونبعان الماء من بين اصابعه الشريفة ، مما عدا دلائل نبوته واماراتها
التي لا تحصى ، مما هو محل اجماع اهل الفضل والعلم ، وعدا القرآن
العظيم الذي هو بحر الحقائق والمعجزة الكبرى ، اذ أنه كالشمس الساطعة
دليل قاطع على صدق رسالته . ولقد اثبتنا اعجاز القرآن بما يقرب من
أربعين وجهاً من وجوه الاعجاز في (رسائل النور) ، ولاسيما في « الكلمة
الخامسة والعشرين » .

الاشارة الثالثة

« شبهتان ودفعهما »

لا يخطر على بال أحد ويقول : ما أهمية هذا الانسان الصغير
وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة وتفتح دنيا اخرى لحاسبته على
اعماله !

لأن : هذا الانسان ، انما هو سيد الموجودات رغم انه صغير جداً ،
لما يملك من فطرة جامعة شاملة . . . فهو قائد الموجودات ، والداعي الى

سلطان الوهية الله ، والمثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها ، لذا فان له
اهمية عظمى •

ولا يخطر على البال كذلك : كيف يكون هذا الانسان محكوماً
بعذاب أبدي ، مع أن له عمراً قصيراً جداً ؟ •

لأن : الكفر جريمة كبرى ، وجناية لا حدود لها ، حيث انه يهبط
بقيمة الكائنات ودرجتها - التي توازي قيمة المكتوبات الصمدانية ودرجتها -
الى هاوية العبث ، وبوهم علم وجود الغاية من ايجادها ••• انه تحقير
يَبِّن للكائنات كلها وانكاراً لما يشاهد من انوار الاسماء الحسنى كلها ،
وانكار آثارها في هذه الموجودات ، ومن ثم فانه تكذيب ما لا يحصى من
الادلة الدالة على حقيقة وجود ذات الحق سبحانه وتعالى ، وكل هذا جناية
لا حدود لها ، والجناية التي لا حدود لها توجب عذاباً غير محدد بحدود •

الاشارة الرابعة

« العالم الثاني دليل على العالم الباقي »

لقد رأينا في الحكاية - بصورها الاثنتي عشرة - انه لا يمكن بوجه من
الوجوه : أن تكون لسلطان عظيم مملكة مؤقتة - كأنها دار ضيافة - ثم
لا تكون له مملكة اخرى دائمة مستقرة ، ولا ثقة لأبهته وعظمته ومقام سلطنته
السامية ، كذلك لا يمكن بوجه من الوجوه : أن لا ينشئ الخالق الباقي
سبحانه عالماً باقياً بعد أن أوجد هذا العالم الثاني • ولا يمكن ايضاً : ان
يخلق الصانع السرمدي هذه الكائنات البديعة الزائلة ، ولا ينشئ كائنات
اخرى دائمة مستقرة • ولا يمكن ايضاً : ان يخلق الفاطر الحكيم القدير
الرحيم هذا العالم - الذي هو بحكم المعرض العام وميدان الامتحان والمزرعة
الوقتية - ثم لا يخلق الدار الآخرة التي تكشف عن غاياته وتظهر اهدافه !
ان هذه الحقيقة يتم ولوجها من « اثني عشر باباً » • وتفتح تلك
الابواب بـ « اثنتي عشرة حقيقة » ، نبدأ بأقصرها وأبسطها •

الحقيقة الأولى

باب الربوبية والسلطنة

وهو تجلي اسم
« الرَّبَّ »

أمن الممكن : أن مَن له شأن الربوبية وسلطنة الألوهية ، فأوجد كوناً
بديعاً - كهذا الكون - لغايات سامية ، ولقاصد جليلة ، اظهاراً لكماله .
ثم لا يكون لديه ثواب للمؤمنين الذين قابلوا تلك الغايات والمقاصد بالإيمان
والعبودية ، ولا يعاقب أهل الضلالة الذين قابلوا تلك المقاصد بالرفض
والاستخفاف ١٩٠٠

الحقيقة الثانية

باب الكرم والرحمة

وهو تجلي اسم

« الكريم والرحيم »

أمن الممكن : أن رب هذا العالم ومالكة الذي أظهر بآثاره : كرمًا بلا نهاية ، ورحمة بلا نهاية ، وعزة بلا نهاية ، وغيره بلا نهاية ، لا يقدر مثوبة تليق بكرمه ورحمته للمحسنين ، ولا يقرر عقوبة تناسب عزته وغيرته للمسيئين ؟ ٠٠ فلو أنعم الانسان النظر في سير الحوادث ابتداء من اضعف كائن حيّ وأشدّه عجزاً (١) وانتهاءً بأقوى كائن ، لوجد ان كل كائن يأتيه رزقه رغداً من كل مكان ، بل يَمْنَح - سبحانه - أضعفهم وأشدّهم عجزاً لطف الارزاق وأحسنها ، ويسعف كل مريض بما يداويه ٠٠٠ وهكذا يجد كل ذي حاجة حاجته من حيث لا يحتسب ٠٠٠ فهذه الضيافة الفاخرة الكريمة ، والاغداق المستمر ، والكرم السامي ، تدلّنا بداهة : ان يبدأ - كريمة خالدة - هي التي تعمل وتدير الامور .

(١) ان الدليل القاطع على أن الرزق الحلال يُعطى حسب الافتقار ، ولا يؤخذ بقوة الكائن وقدرته ، هو : سعة معيشة الصغار الذين لا طاقة لهم ولا حول ، وضيق معيشة الحيوانات المفترسة ، وبدانة الاسماك البليدة وهزال الثعالب والقردة ذوي الذكاء والحيل . فالرزق اذن يأتي متناسباً عكسياً مع الاختيار والقدرة ، أي : كلما اعتمد الكائن على ارادته وقدرته ابتلي بضيق المعيشة وتكاليفها ابتلاء اكثر .

فمثلاً : إن اكساء الأشجار جميعاً بحلل شبيهة بالسنبس الخضر
- كأنها حور الجنة - وتزيينها بمرصعات الازهار الجميلة والثمار اللطيفة،
وتسخيرها لخمستنا بانتاجها اللف الاثمار المتنوعة والذها في نهايات
اغصانها التي هي أيديها اللطيفة ٠٠٠ وتمكيننا من جني العسل اللذيذ
- الذي فيه شفاء للناس - من حشرة سامة ٠٠٠ وإلباسنا أجمل ثياب
والينها مما تحوكة حشرة بلا يد ٠٠٠ وادخار خزينة رحمة عظيمة لنا
في بذرة صغيرة جداً ٠٠٠ كل ذلك يرينا بدهة : كرمًا في غاية الجمال ،
ورحمة في غاية اللطف .

ثم ، ان سعي جميع المخلوقات ، صغيرها وكبيرها - عدا الانسان
والوحوش الكاسرة - لانجاز وظائفها بانتظام تام ودقة كاملة - ابتداء من
الشمس والقمر والارض الى اصغر مخلوق - بشكل لا يتجاوز أحد حده
قيد أنملة ، ضمن الطاعة التامة ، والانقياد الكامل المحفوفين بهيبة عظيمة ،
يظهر لنا : ان هذه المخلوقات لا تتحرك ولا تسكن الا بأمر العظيم ذي
العزة والجلال .

ثم ، ان عناية الامهات بأولادهن الضعاف العاجزين - سواء في النبات
او الحيوان أو البشر - عناية ملؤها الرأفة والرحمة (١) ، وتغذيتها بالغذاء

(١) نعم ان ايثار الاسد الجائع شبلة الضعيف على نفسه بما يظفر به
من قطعة لحم ، وهجوم الدجاج الجبان على الكلب والاسد حفاظاً
على فراخها الصغيرة . وإعداد شجرة التين لصغارها - التي هي
نمارها - لبناً صافياً خالصاً من الطين ٠٠٠ كل ذلك
يدل بدهة - لأهل البصائر - انها حصلت بأمر الرحيم الذي لا نهاية
لرحمته ، والكريم الذي لا نهاية لكرمه ، والرؤوف الذي لا نهاية
لرأفته وشفقته . وان قيام النباتات والحيوانات - التي لا وعي لها
ولا شعور - بأعمال في منتهى الوعي والشعور والحكمة ، يبين
بالضرورة أن عليماً مطلقاً وحكيماً مطلقاً هو الذي يسوقها الى تلك
الاعمال ، وهي بأمره تأتمر .

النظيف السانخ من اللبن ، تريك عظمة التجليات ، وسعة الرحمة المطلقة .
فما دام رب هذا العالم ومدبره له هذا الكرم الواسع ، وهذه الرحمة التي
لا تنتهى لها ، وله الجلال والعزة المطلقان ، وان العزة والجلال المطلقين
يقتضيان تأديب المستخفين ، وان الكرم الواسع المطلق يتطلب إكراماً غير
متناه ، والرحمة التي وسعت كل شيء تستلعي احساناً يليق بها ، بينما
لا يتحقق - من كل ذلك - في هذه الدنيا القانية ، والعمر القصير الا جزء
ضئيل جداً هو كقطرة من بحر .

فلا بد ان تكون هناك دار سعادة تليق بذلك الكرم العميم ، وتنسجم
مع تلك الرحمة الواسعة . والا يلزم جحود هذه الرحمة المشهود ، بما هو
كانكار وجود الشمس التي يملأ نورها النهار ، لأن الزوال الذي لارجعة بعده
يستلزم انتفاء حقيقة الرحمة من الوجود ، بتبديله الشفقة مصيبة ،
والحبة حرق ، والنعمة نقمة ، واللذة آلا ، والعقل المحمود عضواً
مشووماً . وعليه لابد من دار جزاء تناسب ذلك الجلال والعزة ، وتنسجم
معها . لأنه غالباً ما يظل الظالم في عزته ، والمظلوم في ذلته وخنوعه ، ثم
يرحلان على حالهما بلا عقاب ولا ثواب .

فالامر اذن ليس إهمالاً قط ، والقضية لم تهمل ولن تهمل ، وإن
أهملت الى محكمة كبرى . بل قد تلجّل العقوبة في الدنيا . فانزال العذاب
في القرون الغابرة على أقوام عصت وتمردت يبين لنا : ان الانسان ليس
متروكاً زمامه ، يسرح وفق ما يملئ عليه هواه ، بل هو معرض دائماً
لصفعات ذي العزة والجلال .

نعم ، ان هذا الانسان الذي انيط به - من بين جميع المخلوقات -
مهام عظيمة ، وزود باستعدادات فطرية كاملة ، إن لم يعرف ربه وبالإيمان
بعد ان عرف سبحانه نفسه اليه بمخلوقاته البديعة المنتظمة . . . وان لم

ينل محبته بالتقرب اليه بـ (العبادة) بعد ان تحبب اليه سبحانه بنفسه وعرفها اليه بما خلق له من الثمار المتنوعة الجميلة الدالة على رحمته الواسعة ٠٠٠ وان لم يقم بالتوقير والاجلال اللائقين له « بالشكر والحمد » بعد ان أظهر سبحانه محبته له ورحمته عليه بنعمه الكثيرة ٠٠٠ نعم ، إن لم يعرف هذا الانسان ربه هكذا ، فكيف يُترك سدى دون جزاء ، ودون ان يعد له ذو العزة والجلال داراً للعقاب ؟

وهل من الممكن ان لا يمنح ذلك الرب الرحيم دار ثواب وسعادة ابدية ، لأولئك المؤمنين الذين قابلوا تعريف ذاته سبحانه لهم بمعرفتهم إياه بـ (الايمان) ، ومحبته لهم ، بالحب والتحبب له بـ (العبادة) ، ورحمته لهم بالاجلال والتوقير له بـ (الشكر) ؟

الحقيقة الثالثة

باب الحكمة والعدالة

وهو تجلي اسم

« الحكيم والعادل »

أمن الممكن (١) : ان الخالق ذي الجلال الذي أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود - ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات - بقاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان . ان لا يعامل بالاحسان من احتموه بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة ، وان لا يجازى اولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة ؟ . بينما الانسان لا يلقي ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة الا نادراً ، بل يؤخر ، اذ يرحل اغلب اهل الضلالة

(١) ان عبارة « أمن الممكن ؟ » تتكرر كثيراً ، فهي تفيد غاية مهمة وهي : ان الكفر والضلال يتولدان غالباً من الاستبعاد ، أي يرى الانسان ما لا يعتقده بعيداً عن ميزان العقل ، فيعده محالاً ، ويبدأ بالانكار والكفر . ولكن هذه الكلمة العاشرة (الحشر) اوضحت بادلة قاطعة : ان الاستبعاد الحقيقي والمحال الحقيقي ، والبعد عن موازين العقل ، والصعوبة الحقة ، والمشكلات العويصة التي هي بدرجة الامتناع ، انما هي في الكفر ومنهج اهل الضلالة . وان الامكان الحقيقي ، والمعقولة التامة والسهولة الجارية مجرى الوجوب ، انما هي في طريق الايمان ، وجادة الاسلام .
والخلاصة : ان الفلاسفة انما زلّوا الى الانكار نتيجة الاستبعاد . وهذه (الكلمة العاشرة) تبين بتلك العبارة : « أمن الممكن ؟ » اين يكمن الاستبعاد ، وتوجّه ضربة على افواههم .

دون ان يلقوا عقابهم ، وينهب اكثر اهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم ..
فلا بد ان تناط القضية بمحكمة عادلة ، وبلقاء آيل الى سعادة عظمى .

نعم ، انه من الواضح الجلي : ان الذي يتصرف في هذا الكون انما يتصرف فيه بحكمة مطلقة . افتطلب برهاناً على هذا ؟ .. فانظر الى رعايته سبحانه للمصالح والفوائد في كل شيء ! .. ألا ترى ان اعضاء الانسان جميعاً - سواء العظام منها أو العروق وحتى خلاياها الجسمية - وكل جزء منه ومكان ، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى ، بل ان في اعضاء جسمه من الفوائد والاسرار بقدر ما تنتجها الشجرة الواحدة من الثمار ، مما يدلنا : ان يد الحكمة المطلقة هي التي تدير الامور . فضلاً عن وجود التناسق البديع في صنعة كل شيء والانتظام الكامل فيها مما يدلان على : ان حكمة مطلقة هي التي تدير الامور .

نعم ، ان تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة ، وكتابة صحيفة اعمال شجرة ضخمة ، وتاريخ حياتها ، وفهرس اجهزتها ، في نويتها بقلم القَدَر المعنوى ... يرينا بوضوح : ان قلم حكمة مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر .

ثم ان وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسْنها في خلقه كل شيء ، يظهر : ان صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الابداع وهذه النقوش ... نعم ، ان ادراج فهرس الكائنات جميعاً ، ومفاتيح خزائن الرحمة كافة . ومرايا الاسماء الحسنى كلها ، في هذا الجسم الصغير للانسان ، لما يدل على الحكمة البليغة في الصنعة البديعة فهل من الممكن لمثل هذه الحكمة المهيمنة على مثل هذه الاجراءات والشؤون الربانية ان لا تحسن معاملة أولئك الذين استظلوا بظلها وانقادوا لها بالايمان ، وان لا تسيبهم اثابة أبدية خالدة ؟ .

وهل تريد برهاناً على انجاز الاعمال بالعدل والميزان ؟
ان منح كل شيء وجوداً بموازين حساسة ، وبمقاييس خاصة ،
والباسه صورة معينة ، ووضعه في موضع ملائم ٠٠٠ يبين بوضوح : ان
الامور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين .

وكنا اعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه ، أي اعطاءه كل
ما يلزم ، وما هو ضروري لوجوده ، وتوفير جميع ما يحتاج الى بقائه في
أفضل وضع ٠٠٠ يدل أن يداً للعدالة المطلقة هي التي تُسيّر الامور .

وكذا الاستجابة المستمرة والدائمة لما يُسأل بلسان الاستعداد او
الحاجة الفطرية ، أو بلسان الاضطراب تُظهر : ان عدالة مطلقة ، وحكمة
مطلقة هما اللتان تُجريان عجلة الوجود .

فالآن ، هل من الممكن أن تهمل هذه العدالة ، وهذه الحكمة تلك
الحاجة العظمى - حاجة البقاء - لأسمى مخلوق وهو الانسان ؟ في حين انهما
تستجيبان أدنى حاجة لأضعف مخلوق ؟ فهل من الممكن ان ترداً أهم
ما يرجوه الانسان واعظم ما يتمناه ، وان لاتقيا حشمة الربوبية وتتخلفا
عن الاجابة لحقوق العباد ؟؟ .

غير ان الانسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال
ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة . وانما تؤخر الى محكمة كبرى .
حيث تقتضي العدالة الحققة : أن يلاقى هذا الانسان الصغير ثوابه
وعقابه لا على اساس صفه ، بل على اساس ضخامة جنايته ، وعلى اساس
أهمية ماهيته ، وعلى اساس عظمة مهمته ٠٠٠ وحيث ان هذه الدنيا العابرة
بعيدة كل البعد عن أن تكون محلاً لثل هذه العدالة والحكمة بما يخص هذا
الانسان - المخلوق لحياة ابدية - فلا بد من جنة ابدية ، ومن جهنم دائمة
للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال .

الحقيقة الرابعة

باب الجود والجمال

وهو تجلي اسم
« الجواد والجميل »

أمن الممكن : ان الجود والسخاء المطلقين ، والثروة التي لا تنضب ،
والخزائن التي لا تنفذ ، والجمال السرمدي الذي لا مثيل له ، والكمال
الابدي الذي لا نقص فيه ، ان لا يطلب دار سعادة ومحل ضيافة ، يخلد
فيه المحتاجون للجود ، الشاكرون له ، والمشتاقون الى الجمال ، المعجبون به؟
نعم ، ان تزيين وجه العالم بهذه المصنوعات الجميلة اللطيفة ، وجعل
الشمس سراجاً ، والقمر نوراً ، وسطح الارض مائدة للنعم ، وملأها بالذ
الاطعمة الشهية المتنوعة ، وجعل الاشجار أواني وصحافاً تتجدد مراراً كل
موسم ... كل ذلك يظهر سخاء وجوداً لا حد لهما . فلا بد ان يكون مثل
هذا الجود والسخاء المطلقين ، ومثل هذه الخزائن التي لا تنفذ ، ومثل هذه
الرحمة التي وسعت كل شيء ، دارَ ضيافة دائمة ، ومحل سعادة خالدة .
يحوي ما تشتهي الانفس وتلد الاعين وتستدعي قطعاً : ان يخلد المتلذذون
في تلك الدار ، ويظلوا متلازمين لتلك السعادة ليبتعدوا عن الزوال والفراق ،
اذ كما ان زوال اللذة ألم فزوال الألم لذة كذلك ، فمثل هذا السخاء يابى
الايذاء قطعاً .

أي أن الامر يقتضي وجود جنة أبدية ، وخلود المحتاجين فيها ، لأن الجود والسخاء المطلقين يتطلبان احساناً وانعاماً مطلقين ، والاحسان والانعام غير المتناهيين يتطلبان تنعماً وامتناناً غير متناهيين ، وهذا يقتضي خلود انعام مَنْ يستحق الاحسان اليه ، كي يظهر شكره وامتنانه بتنعمه الدائم ازاء ذلك الانعام الدائم .. وإلا فاللذة اليسيرة - التي ينفصها الزوال والفراق - في هذه الفترة الوجيزة لا يمكن ان تنسجم ومقتضى هذا الجود والسخاء .

ثم انظر الى معارض اقطار العالم التي هي مشهد من مشاهد الصناعة الالهية ، وتدبر ما تحمله النباتات والحيوانات على وجه الارض من اعلانات ربانية(١) وانصت الى الداعين الادلاء الى محاسن الربوبية وهم الانبياء عليهم السلام والاولياء الصالحون ، كيف انهم يرشدون جميعاً الناس لمشاهدة كمال صناعة الصانع ذي الجلال بتشهيرهم صنعته البديعة ويلفتون انظارهم اليها .

اذن ، فلصانع هذا العالم كمال فائق عظيم مثير للعجاب ، خفي مستتر ، فهو يريد اظهاره بهذه المصنوعات البديعة ، لأن الكمال الخفي

الذي لا نقص فيه ينبغي الاعلان عنه على رؤوس اشهادٍ مقدّرين مستحسنين معجبين به . وان الكمال الدائم يقتضي ظهوراً دائماً ، وهذا بدوره يستدعي دوام المستحسنين المعجبين ، اذ المعجب الذي لا يدوم بقاؤه تسقط في نظره

(١) نعم ، ان الزهرة الجميلة - وهي في غاية الزينة والزخرفة - والثمرة المنضّدة - وهي في منتهى الاتقان والابداع - المعلقتين بخيط دقيق في نهاية اغصان يابسة يبوسة العظم .. لاشك انهما « لوحة اعلان » تجعل ذوي المشاعر يقرأون فيها محاسن صناعة الصانع المعجز الحكيم ! .. قس على النباتات والحيوانات ايضاً .

• قيمة الكمال (١) •

ثم ان هذه الموجودات العجيبة البديعة الدقيقة الرائعة المنتشرة في هذا الكون تدل بوضوح - كدلالة ضوء النهار على وجود الشمس - على محاسن الجمال المعنوي الذي لا مثيل له ، وتريك - كذلك - لطائف الحسن الخفي الذي لا نظير له (٢) • وان تجلي ذلك الحسن الباهر المنزه ، وذلك الجمال الزاهر المتقدس يشير الى كنوز كثيرة خفية موجودة في الاسماء الحسنى ، بل في كل اسم منها •

ومثلاً يطلب هذا الجمال الخفي السامي - الذي لا مثيل له - أن يرى محاسنه في مرآة عاكسة ، ويشاهد قيّم حسنه ومقاييس جماله في مرآة ذات مشاعر واشواق اليه ، فانه يريد الظهور والتجلي ليرى جماله المحبوب ايضاً بأنظار الآخرين • أي أن النظر الى جمال ذاته يستدعي أن يكون من جهتين :

الاولى : مشاهدة الجمال - بالذات - في المرايا المختلفة المتعددة الالوان •

والاخرى : مشاهدة الجمال بنظر المشاهدين المشتاقين المعجبين

المستحسنين •

(١) نعم لقد ذَهَبَ مثلاً : أن حسناء بارعة الجمال طردت احدَ المعجبين بها ، فقال هذا المعجب مسلياً نفسه : تَبّاً لها ما أقبحها • • منكرًا جمال تلك الجميلة •

وذات يوم مرّ دُب تحت شجرة عنب ذات عناقيد لذينة ، فأراد أن يأكل من ذلك العنب الحلو ، ولما لم تصل يده اليه ، وعجز عن التسلق ، قال متمتاً : انه حامض ، فسلى نفسه • • ومضى في طريقه •

(٢) ان الموجودات الشبيهة بالمرايا مع أنها تتعاقب بالزوال والفناء فان وجود تجليات الجمال نفسه والحسن عينه في وجهها ، وفي التي تعقبها ، يدل على : أن ذلك الجمال ليس ملكاً لها ، بل هو آيات حسنٍ منزّه ، وامارات جمالٍ متدّس •

أي أن الجمال والحسن يقتضيان الشهود والاشهاد (الرؤية والاراءة)، وهذا الشهود والاشهاد يستلزمان وجود المشاهدين المشتاقين والمستحسنين المعجبين . . . ولما كان الجمال والحسن خالدين سرمدين فانهما يقتضيان خلود المشتاقين وديمومتهم . لأن الجمال الدائم لا يرضى بالمشتاق الزائل الآفل . لنا فالمشاهد الذي يشعر بالزوال - وقضى على نفسه بعدم العودة الى الحياة - فانه بمجرد تصويره الزوال تتحول محبته عداً ، واعجابه استخفافاً ، واحترامه اهانة ، لأن الشخص الاناني مثلما يعادي ما يجهله يعادي ما لا تصل اليه يده ايضاً ، فيضمر عداً وحقداً وانكاراً لذلك الجمال الذي ينبغي أن يقابل بما يستحقه من محبة بلا نهاية وشوق بلا غاية واعجاب بلا حد . ومن هذا يفهم سرّ كون الكافر علواً لله سبحانه وتعالى .

ولما كان ذلك الجود في العطاء غير المحدود ، وذلك الحسن في الجمال الذي لا مثيل له ، وذلك الكمال الذي لا نقص فيه . . . كله يقتضي خنود الشاكرين ، وبقاء المشتاقين المستحسنين ، ونحن نشاهد رحلة كل شخص واختفاه بسرعة في دار ضيافة الدنيا هذه . دون أن يستمتع باحسان ذلك السخاء إلا نزرأ يسيراً بما يفتح شهيته فقط ، ودون أن يرى من نور ذلك الجمال والكمال إلا لمحة خاطفة . اذن الرحلة منطلقة نحو متنزهات خالدة ومشاهدة أبدية .

الخلاصة : مثلما أن هذا العالم يدل بموجوداته دلالة قاطعة يقيناً على صانعه الكريم ذي الجلال ، نصفاته المقدسة سبحانه واسماؤه الحسنى تدل كذلك على الدار الآخرة بلا ريب وتظهرها ، بل تقتضيها .

الحقيقة الخامسة

باب الشفقة وعبودية محمد صلى الله عليه وسلم

وهو تجلي اسم

« المجيب والرحيم »

امن الممكن : أن الرب ذي الرحمة الواسعة والشفقة غير المتناهية الذي يبصر أخفى حاجة لأدنى مخلوق ، ويسعفه من حيث لا يحتسب برأفة متناهية ورحمة سابقة ، ويسمع أخفت صوت لأخفى مخلوق فيغيثه ، ويجيب كل داعٍ بلسان الحال والمقال ، فهل من الممكن يا ترى الا يقضى هذا الرب المجيب الرحيم أهم حاجة لأعظم عباده (١) وأحب خلقه اليه ، ولا يسعفه بما يرجوه منه ؟

(١) نعم ، ان الذي حكم ودام سلطان حكمه ألفاً وثلاثمائة وخمسين سنة . والذي عدد امته أكثر من ثلاثمائة وخمسين مليوناً - في أغلب الاوقات - وهم يجندون معه البيعة يومياً ، ويشهدون بعلو مكانته وينقادون لأوامره انقياداً تاماً عن رغبة وطوعية ٠٠٠ هذا الذي تسربل نصف الأرض وخمس البشرية بسرباله المبارك ، وانطبع بطابعه الخنوي ، واصبحت ذاته الشريفة محبوبة قلوبهم ، ومربية أرواحهم ، ومزكية نفوسهم ٠٠٠ لا ريب انه العبد الاعظم لرب العالمين سبحانه ٠٠٠ هذا العبد الكريم الذي رحب أغلب انواع الكائنات بمهمته ، ورسالته فحمل كل نوع ثمرة من ثمرات معجزاته ٠٠ لا ريب انه احب مخلوق لدى الخالق العظيم . وان البشرية التي ترجو الخلود بكل ما لها من استعداد وتطلب هذه الحاجة الملحة التي تنقذها من التردى الى دركات اسفل سافلين وترفعها الى درجات أعلى عليين ٠٠٠ فهي حاجة عظمى ، ولا ريب أن من يتقدم بها ويرفعها الى قاضي الحاجات لهو اعظم العباد .

فحُسن تربية صغار الحيوانات وضماها ، واعاشتها بسهولة ولطف
ظاهرين ترياننا : ان مالك هذه الكائنات يسيّر هذا الكون برؤية لا حد
لرحمتها . فهل يعقل لهذه الربوبية المتصفة بكمال الشفقة والرافة ان
لا تستجيب لأجل دعاء لأفضل مخلوق ؟ ...

وكما بينت هذه الحقيقة في « الكلمة التاسعة عشرة » أعيد بيانها هنا :
فيا صديقي الذي يسمعي مع نفسي ! لقد ذكرنا في الحكاية : ان
هناك اجتماعاً في جزيرة ، وان مبعوثاً كريماً يرتجل خطبة هناك ، فحقيقة
ما اشارت اليه الحكاية هي ما يأتي :

تعال ! لتجرد من قيود الزمان ، ولنذهب بأفكارنا الى عصر النبوة ،
وبخيالنا الى تلك الجزيرة العربية كي نحظى بزيارته صلى الله عليه وسلم ،
وهو يزاول وظيفته بكامل عبوديته . انظر ! كيف انه - بما أتى به من
رسالة وهداية - سبب السعادة الابدية ووسيلة الوصول اليها ، فانه صلى
الله عليه وسلم - بدعائه وبعبوديته - هو الداعي لايجاد تلك السعادة
وخلق الجنة .

انظر الى الذات النبوية المباركة إلامّ تدعو ... انها تدعو الى السعادة
الابدية في صلاة كبرى شاملة ، وفي عبادة رفيعة مستغرقة ، حتى أن الجزيرة
العربية ، بل الارض برمتها ، كأنها تصلي مع صلاة هذا الكريم ، وتبتهل
الى الله بابتهاله الجميل ، ذلك لأن عبوديته صلى الله عليه وسلم كما انها
تتضمن عبودية جميع أمته الذين اتبعوه ، فهي تتضمن كذلك - بسر
الموافقة في الاصول - سرّ العبودية لجميع الانبياء عليهم السلام . فهو يؤم
صلاة كبرى - ايّما صلاة - ويتضرع بدعاء - ويا له من تضرع رقيق -
في خلق عظيم ، كان الذين تنوروا بنور الايمان - من لدن آدم عليه السلام

الى الآن والى يوم القيامة - اقتتلوا به ، وأمنوا بدعائه (١) .

انظر ! كيف يدعو الله حاجة عامة كحاجة البقاء والخلود ! .
هذه الدعوة التي لا يشترك فيها معه أهل الارض وحدهم ، بل أهل السموات
أيضاً ، لا بل الموجودات كافة . فتقول بلسان الحال : « آمين اللهم آمين
استجب يا ربنا دعاءه ، فنحن نتوسل بك ونتضرع اليك مثله » . ثم انظر !
انه يسأل تلك السعادة والخلود بكل رقة وحزن ، وبكل حب وود ، وبكل
شوق والحاح ، وبكل تضرع ورجاء ، يُحزن الكون جميعاً ويبيكه فينسهمه
في الدعاء .

ثم انظر وتأمل ! انه يدعو طالباً السعادة لقصد عظيم ، ولغاية سامية
.. يطلبها لينقذ الانسان والمخلوقات جميعاً من التردى الى هاوية أسفل
سافلين - وهو الفناء المطلق والضياع والعبث - ويرفعه الى أعلى عليين -
وهو الرفعة والبقاء وتقلد الواجبات وتسلم المسؤوليات ليكون أهلاً
لها ويرقى الى مرتبة المكتوبات الصمدانية .

(١) نعم ، ان جميع الصلوات التي تقيمها الامة كلها ، منذ المناجاة الاحدية
- عليه الصلاة والسلام - وجميع الصلوات والتسليمات التي تتبعها
الى النبي صلى الله عليه وسلم ان هي الا تأمين دائم لدعائه ، ومشاركة
عامة معه ، حتى أن كل صلاة وسلام عليه هو تأمين على ذلك الدعاء .
وان ما يأتيه كل فرد من أفراد الامة من الصلوات في الصلاة ، ومن
الدعاء عقب الاقامة - حسب المذهب الشافعي - انما هو تأمين عام
على ذلك الدعاء الذي يدعو به للسعادة الابدية . فالنبي صلى الله
عليه وسلم يرجو في دعائه البقاء والسعادة الابدية ، وهذا هو ما يريده
الانسان ويرجوه بكل ما أوتي من قوة بلسان حال فطرته ، لذا يؤمن
خلفه جميع الذين تنوروا بنور الايمان . فهل يمكن الا يقرن هذا
الدعاء بالقبول والاستجابة !؟

انظر ! كيف انه يطلب الاستعانة مستغيثاً ببكاء ، متضرعاً راجياً من
الاعماق ، متوسلاً بالحاج ٠٠ حتى كأنه يُسمع الموجودات جميعاً ، بل
السموات ، بل العرش ، فيهزهم وجلاً وشوقاً الى دعائه ويجعلهم يرددون:
آمين اللهم آمين(١) .

وانظر ! انه يسأل السعادة والبقاء الابدي ، ويرجوها من قدير سميع
كريم ، ومن عليم بصير رحيم يرى ويسمع أخفى حاجة لأضعف مخلوق
فيتداركه برحمته ، ويستجيب له ، حتى إن كان دعاء بلسان الحال .

نعم ، انه يستجيب له ببصيرة ورحمة ويفيئه بحكمة ، بما لا تبقى
شبهة بأن تلك الرعاية الفاتقة ليست الا من لدن سميع بصير ، وان ذلك

(١) نعم ، انه لا يمكن بحال من الاحوال الاّ يطلع ربّ هذا العالم على
افعال مَنْ هو بالمنزلة الرفيعة من خلقه، في الوقت الذي يتصرف في
الكون بكل علم وبصيرة وحكمة ، كما هو مشاهد . ولا يمكن أيضاً
بحال من الاحوال الاّ يبالي ذلك الربّ العليم بدعاء هذا العبد المختار
من عباده ، وهو المطلع على كل افعاله ودعواته . كذلك لا يمكن بحال
من الاحوال ان لا يستجيب ذلك الربّ القدير الرحيم لتلك الدعوات
وهو يرى من صاحبها كل التجرد والافتقار اليه .

نعم، لقد تبدل وضع العالم بنور النبي صلى الله عليه وسلم، وتبينت
حقيقة الانسان والكون وماهيتهما بذلك النور ، وانكشفت بذلك
الضياء . فظهر : ان موجودات هذا الكون مكتوبات صمدانية تستقرى
الاسماء الحسنى ، ومأمورات موظفات ، وموجودات نفيسة ذات معنى
ومغزى تليق بالبقاء . فلولا ذلك النور لظل الكون مستوراً تحت
ظلام الأوهام ، محكوماً عليه بالفناء المطلق والعدم ، تافهاً دون معنى
ودون نعم ، بل كان عبثاً وسدى ووليدة الصدفة . ولهذا السر فان
كل شيء في الأرض والسماء - من الثرى الى الثريا - يستضيء بنوره
صلى الله عليه وسلم ويبدى علاقته به مثلما يبدى الانسان لدعائه -
ولا غرو ان روح المبودية المحمدية ومخها انما هو الدعاء - بل ان
حركات الكون ووظائفه جميعاً ما هي الا نوع من الدعاء ، فنمو البذرة
وتحولاتها مثلاً ما هو الا نوع من دعاء لبارئها لتصبح شجرة باسقة .

التدبير الدقيق ليس الا من عند كريم رحيم .

نعم ، ان الذي يقود جميع بني آدم في مسيرة الحياة على الارض متوجهاً الى العرش الاعظم ، رافعاً يديه ، داعياً بدعاء شامل لحقيقة العبودية الاحمدية التي هي خلاصة عبودية البشرية . . ترى ماذا يريد ؟ ماذا يريد شرف الانسانية ، وفخر الكائنات ، وفريد الازمان والاكوان ؟ ! . لننصت اليه . . انظر ! ، انه يسأل السعادة الابدية لنفسه ولأمته ، انه يسأل الخلود في دار البقاء ، انه يسأل الجنة ونعيمها . . نعم ، يسألها ورجوها مع تلك الاسماء الالهية المتجلية بجمالها في مرآة الموجودات . . انه يستشفع تلك الاسماء الحسنی كما ترى .

أرأيت ان لم يكن هناك شيء من الاسباب الموجبة التي لا تعد ولا تحصى للآخرة ولا شيء من الدلائل لوجودها ، أليس دعاء واحد من هذه الذات النبوية المباركة يكون سبباً كافياً لايجاد الجنة (١) التي هي سهلة على قدرة خالقنا الرحيم ، كسهولة اعادة الحياة الى الارض في ايام الربيع ؟ .

نعم ان النى جعل سطح الارض في الربيع مثلاً للحشر ، فابجد فيه مئة ألف نموذج من نماذجه بقدرته المطلقة ، كيف يصعب عليه ايجاد الجنة ؟

(١) نعم ، ان ابداء نماذج الصنعة الدقيقة البديعة التي لا تعد ولا تحصى على وجه الارض الذي هو بمثابة صحيفة صغيرة بالنسبة الى عالم الآخرة الفسيح ، وكذا اراءة نماذج الحشر والقيامة في ثلثمائة ألف من مخلوقات ذات موازنة وانتظام، وكتابتها في تلك الصحيفة الواحدة بهذا النظام البديع ، لاشك انها أعقد من تهيئة الجنة الموسومة بالفخامة والرفعة في عالم البقاء الرحب ، لذا يمكن القول : ان خلق حدائق الربيع بما فيها من الازهار والرياحين امر يبعث على الحيرة والدهشة اكثر مما يبعثها خلق الجنة ، وبنسبة علو درجة الجنة ورفعة مكانتها على الربيع .

٠٠٠ اذن فكما ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت سبباً لايجاد دار الامتحان هذه ، وصارت بياناً وايضاحاً لسر ولولاك لولاك لما خلقت الافلاك . فان عبوديته كذلك اصبحت سبباً لخلق تلك الدار السعيدة الابدية . فهل من الممكن يا ترى لانتظام العالم البديع الذي حير العقول ، والصنعة المتقنة ، وجمال الربوبية الشاملة في اطار رحمته الواسعة ، ان يقبل قبحاً فظيماً وظلماً شنيعاً ، وفوضى ضارب اطنابه ، بعدم استجابة ذلك الدعاء . أي أن لا يراعي ولا يسمع ولا ينجز اكثر الرغبات اهمية ، واشدها ضرورة في حين انه يراعي باهتمام بالغ ابسط الرغبات وأصغرها ، ويسمع أخفت الاصوات وادقها ويقضي لكل ذي حاجة حاجته ! كلا ثم كلا ألف ألف مرة ، ان مثل هذا الجمال يأبى التشوه ولن يكون قبيحاً (١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم اذن كما انه قد فتح برسالته باب الحياة الدنيا ، فانه صلوات الله وسلامه عليه قد فتح ايضاً بعبوديته باب الآخرة . عليه صلوات الرحمن ملء الدنيا ودار الجنان .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك ، ذلك الحبيب الذي هو سيد الكونين ، وفخر العالمين ، وحياة الدارين ، ووسيلة السعادتين ، وذو الجناحين ، ورسول الثقلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، وعلى اخوانه من النبيين المرسلين . آمين .

(١) نعم ، ان انقلاب الحقائق محال بالاتفاق . واشد محالاته هو انقلاب الضد الى ضده . وضمن عدم امكان انقلاب الحقائق الى اضدادها حقيقة لا تقبل الضد قطعاً ، وهي انقلاب الشيء مع احتفاظه بماهيته الى عين ضده ، كأن ينقلب الجمال المطلق - مع احتفاظه بهذا الجمال - الى القبح الحقيقي ! فتحول جمال الربوبية الواضح والظاهر ظهوراً جلياً الى ضده مع بقاءه على ماهيته هو أشد محالاً وأكثر عجباً في احكام العقل .

الحقيقة السادسة

باب العظمة والسرمدية

وهو تجلي اسم

« الجليل والباقي »

أمن الممكن : أن الرب الجليل الذي يدير الموجودات ويسخرها -
من الشمس الى الاشجار والى الذرات والى ما هو اصغر منها - كأنها جنود
مجندة ، أن يقصر نشر سلطانه على مساكن فانيين يقضون حياة موقته في
دار ضيافة الدنيا هذه ، ولا ينشئ مقرأ سامياً سمردياً ومدار ربوبية جلييلة
باقية له ؟!

نعم ، ان ما نشاهده في هذا الكون من الاجراءات الجلييلة الضخمة
امثال تبدل المواسم ٠٠٠ ومن التصرفات العظيمة امثال تسيير النجوم ٠٠٠
ومن التسخيرات المدهشة امثال جعل الارض مهاداً والشمس سراجاً ٠٠٠
ومن التحولات الواسعة امثال إحياء الأرض وتزيينها بعد جفافها وموتها ٠٠
ليبين لنا بجلاء : ان وراء الحجاب ربوبية جلييلة عظيمة تحكم وتهيمن
بسلطانها الجليل ٠ فمثل هذه السلطة الربانية تستدعى رعايا يليقون بها ،
ومظاهر تناسبها ٠ بينما ترى : ان من لهم افضل المزايا وأجمعها من الرعايا
والعباد قد اجتمعوا موقتاً منهوكن في مضيف الدنيا ، والمضيف نفسه يملأ
ويفرغ يومياً ، والرعايا لا يلبثون فيه إلا بمقدار أداء تجربة مهاتهم في
ميدان الاختبار هذا ٠ والميدان نفسه يتبدل كل ساعة ، فالرعايا يقفون
دقائق معدودة لرؤية ما في معارض سوق العالم من نماذج الآلاء

الشمينة للخالق ذي الجلال ، ومشاهدين - لأجل التجارة - بدائع صنعه سبحانه في هذا المعرض الهائل ، ومن ثم يغيبون ، والمعرض نفسه يتبدل ويتغير كل دقيقة ! فمن يرحل فلا عودة له ، والقابل راحل . فهذا الوضع يبين بوضوح وبشكل قاطع ان : وراء هذا المضيف الفاني ، وخلف هذا الميدان المتغير ، وبعد هذا المعرض المتبدل قصور دائمة تليق بالسلطنة السرمدية ، ومساكن ابدية ذات جنان ، وخزائن ملأى بالاصول الخالصة الراقية للنماذج التي نراها في الدنيا ، لذا فالداب' والسعي هنا انما هو للتطلع الى ما هناك . . . والاستخدام هنا لقبض الاجرة هناك . فلكل حسب استعداداه واجتهاده سعادة وافرة ان لم يفقدها .

نعم ، انه محال ان تقل مثل هذه السلطنة السرمدية مقصورة على هؤلاء الفانين الاذلاء . . .

فانظر الى هذه الحقيقة من خلال منظار هذا المثال : هب انك تسير في طريق ، وتشاهد أن عليها (فندقاً فخماً) ، بناء ملك عظيم لضيوفه ، وهو ينفق مبالغ طائلة لتزيينه وتجميله كي يدخل البهجة في قلوب ضيوفه ، ويعتبروا بما يرون . بيد أن اولئك الضيوف لا يتفرجون إلا على أقل القليل من تلك التزيينات ، ولا ينوqون الا أقل القليل من تلك النعم ، حيث لا يلبثون الا قليلاً ومن ثم يفادرون الفنق دون ان يرتوا ويشبعوا . سوى ما يلتقطون من صور أشياء في الفنق - بما يملكون من آلة تصوير - وكذلك يفعل عمال صاحب الفنق وخدامه حيث يلتقطون حركات هؤلاء النزلاء وسكناتهم بكل دقة وأمانة ويسجلونها . فما أنت ذا ترى ان الملك يهدم يومياً اغلب تلك التزيينات النفيسة ، مجدداً إياها بأخرى جديدة للضيوف الجدد . أفبعد هذا يبقى لديك شك من : ان الذي بنى هذا الفنق على قارعة هذه الطريق يملك قصوراً دائمة سامية ، وله خزائن

زاخرة ثمينة لا تنفد ، وهو ذو سخاء دائم لا ينقطع • وان ما يبيديه من الكرم في هذا الفندق انما هو لاثارة شهية ضيوفه الى ما عنده من اشياء ، ولتنبيه رغباتهم وتحريكها لما أعدّ لهم من هدايا ؟ •

فان تأملت - على ضوء هذا - في أحوال فندق الدنيا هذه ، وانعمت النظر فيها بوعي تام فستفهم الاسس التسعة الآتية :

الاساس الاول : انك ستفهم : ان هذه الدنيا - الشبيهة بذلك الفندق - ليست لذاتها • فمحال أن تتخذ لنفسها - بنفسها - هذه الصورة والهيئة . وانما هي دار ضيافة تملأ وتفرغ ، ومنزل حلّ وترحال ، انشئت بحكمة لتأفلة الموجودات والمخلوقات •

الاساس الثاني : وستفهم : ان ساكني هذا الفندق هم قومٌ ضيوف مسافرون ، وان ربهم الكريم يدعوهم الى دار السلام •

الاساس الثالث : وستفهم : ان التزيينات في هذه الدنيا ليست لأجل التلذذ والتمتع فحسب ، اذ لو اذقتك اللذة ساعة ، تذيقك الالم - بفراقها - ساعات وساعات ، وهي تذيقك مثيرة شهيتك دون ان تشبعك ، لقصر عمرها أو لقصر عمرك ، فهي لا تكفي للشبع • اذن فهذه الزينة الغالية الثمن والقصيرة العمر هي للعبرة (١) ، وللشكر ، وللحضي على الوصول الى تناول اصولها الدائمة ، ولغايات اخرى سامية ...

(١) على الرغم من ان كل شيء دقيق الصنع بديع التصوير جميل التركيب هو غالٍ ونفيس ، فان عمره قصير ، ووجوده لا يستغرق إلا زمناً يسيراً • فهو اذن نماذج وصور لأشياء اخرى ليس الا • ولما كان هناك ما يشبه توجيه الانظار الى الحقائق الاصيلية ، فلا غرابة اذن في ان يقال : ان زينة الحياة الدنيا ما هي الا نماذج لنعم الجنة التي هيأها الرب الرحيم بفضله ولطفه لمن أحب من عباده ، بل الحقيقة هي هذه فعلاً •

الاساس الرابع : وستفهم : ان هذه الزينة في الدنيا (١) انما هي بمثابة صور ونماذج للنعم المدخرة لدى الرحمة الالهية في الجنة للمؤمنين .

(١) نعم ، ان لوجود كل شيء غايات ، ولحياته اهداف ونتائج ، فهي ليست بمنحصرة - كما يتوهم أهل الضلالة - على الغايات والمقاصد التي تتوجه الى الدنيا أو التي تنحصر في الوجود نفسه ، حتى يمكن ان يتسلل اليها العبث وعدم القصد . بل ان غايات وجود كل شيء ومقاصد حياته ثلاثة اقسام :

أولها وهو اسمها وهو المتوجه الى صانعه سبحانه وتعالى أي : عرض دقائق صنع كل شيء وبديع تركيبه أمام أنظار الشاهد الازلي سبحانه - بما يشبه الاستعراض الرسمي - حيث تكفى لذلك النظر حياة الشيء ولو للحظة واحدة . بل قد يكفيه استعداده لابرار قواه الكامنة - الشبيهة بنيته - ولما يبرز الى الوجود . ومثاله : المخلوقات اللطيفة التي تزول بسرعة ، والبذور التي لم يتسن لها اعطاء ثمارها وازدهارها ، تفيد هذه الغاية وتعبّر عنها تماما ، فلا يطرأ عليها عبث ولا انتفاء النفع البتة . اي ان اولى غايات كل شيء هو : اعلانه واظهاره - بحياته ووجوده - معجزات قدرة صانعه ، وآثار صنعته ، أمام انظار عناية مليكه ذي الجلال .

والقسم الثاني من غاية الوجود وهدف الحياة هو : التوجه الى ذوي الشعور : أي ان كل شيء بمثابة رسالة ربانية زاخرة بالحقائق ، وقصيدة تنضج لطفًا ورقة ، وكلمة تفصح عن الحكمة ، يعرضها البارئ عز وجل أمام أنظار الملائكة والجن والحيوان والانسان ، ويدعوهم الى التأمل ، أي أن كل شيء هو محل مطالعة وتأمل وعبرة لكل من ينظر اليه من ذوي الشعور .

القسم الثالث من غاية الوجود وهدف الحياة هو : التوجه الى ذات نفسه : كالتمتع والتلذذ وقضاء الحياة والبقاء فيها بهناء ، وغيرها من المقاصد الجزئية . فمثلاً : ان نتيجة عمل الملاح في سفينة السلطان العظيمة تعود فائدتها اليه وهي أجرته ، وهي بنسبة واحد في المائة ، بينما تسع وتسعين بالمائة من نتائج السفينة تعود الى السلطان الذي يملكها وهكذا إن كانت الغاية المتوجهة الى كل شيء بذاته زالى دنياء واحدة ، فالغاية المتوجهة الى باريه سبحانه هي تسع وتسعون .

الأساس الخامس : وستفهم : ان هذه المصنوعات الفانية ليست للفناء ، ولم تخلق لتشاهد حيناً ثم تذهب هباءً ، وانما اجتمعت هنا - واخذت مكانها المطلوب - لفترة قصيرة كي تلتقط صورها ، وتنفهم معانيها ، وتلوث نتائجها ، ولتنسج لاهل الخلود مناظر أبدية دائمة . ولتكون مداراً لغايات اخرى في عالم البقاء .

وفهم من المثال الآتي ، كيف ان هذه الاشياء لم تخلق للفناء بل للبقاء ، بل ان فناءها الظاهري ليس الا ترخيصاً لها ، وإطلاقاً لسراحها ،

ففي تعدد الغايات هذا يكمن سر التوفيق بين « الحكمة والجود » ، أي بين « الاقتصاد والسخاء المطلقين » اللذين يبدوان كالضدين والتقيضين . وتوضيح ذلك :

انه اذا لوحظت غاية بمفردها فان الجود والسخاء يسودان آنذاك، ويتجلى اسم « الجواد » ، فالثمار والحبوب حسب تلك الغاية المفردة الملحوظة لا تعد ولا تحصى . أي أنها تفيد جوداً مطلقاً وسخاء لا حصر له . أما اذا لوحظت الغايات كلها فان الحكمة هي التي تظهر وتهيمن، ويتجلى اسم « الحكيم » . فتكون الحكمة والغايات المتوخاة من ثمره لشجرة واحدة بعدد ثمار تلك الشجرة ، فتتوزع هذه الغايات على الاقسام الثلاثة التي سبق ذكرها . فهذه الغايات العامة تشير الى حكمة غير نهائية ، واقتصاد غير محدد ، فتجتمع الحكمة المطلقة مع الجود المطلق اللذان يبدوان كالضدين .

ومثلاً : ان احدى الغايات من الجيش هي المحافظة على الأمن والنظام، فاذا نظرت الى الجيش بهذا المنظار فسترى ان هناك عدداً فوق المطلوب منه . اما اذا نظرنا اليه مع اخذنا الغايات الاخرى بنظر الاعتبار كحفظ الحدود ، ومجاهدة الاعداء وغيرها ، عند ذلك نرى ان العدد يكاد يفي بالحد المطلوب . . . فهو اذن توازن دقيق بميزان الحكمة . اذ تجتمع «حكمة» الحكومة مع «عظمتها» . وهكذا يمكن القول في هذه الحالة : أن الجيش ليس فوق الحد المطلوب .

بعدما انتهت مهامها • وكيف أن الشيء يفنى من جهة إلا أنه يبقى من جهات كثيرة :

تأمل في هذه الزهرة - وهي كلمة من كلمات القدرة الالهية - انها تنظر الينا مبتسمة لنا لفترة قصيرة ، ثم تختفي وراء ستار الفناء • فهي كالكلمة التي تتفوه بها ، التي تودع آلافاً من مثيلاتها في الآذان وتبقى معانيها بعدد العقول المنصتة لها ، وتمضي بعد أن أدت وظيفتها ، وهي افادة المعنى • فالزهرة ايضاً ترحل بعد أن تودع في حافظة كل من شاهد صورتها الظاهرة ، وبعد أن تودع في بذيراتها ماهيتها المعنوية ، فكان كل حافظة وكل بذرة ، بمثابة صور فوتوغرافية لحفظ جمالها وصورتها وزينتها ، ومحل إدامة بقائها •

فلئن كان المصنوع وهو في أدنى مراتب الحياة يعامل مثل هذه المعاملة للبقاء ، فما بالك بالانسان الذي هو في أعلى طبقات الحياة ، والذي يملك روحاً باقية ألا يكون مرتبطاً بالبقاء والخلود ؟ ولئن كانت صورة النبات المزهر المثمر ، وقانون تركيبه - التشبيه جزئياً بالروح - باقية ومحفوظة في بذيراتها بكل انتظام ، في خضم التقلبات الكثيرة ، أفلا يفهم : كم تكون روح الانسان باقية ، وكم تكون مشدودة مع الخلود ، علماً انها قانون أمري ، وذات شعور نوراني ، تملك ماهية راقية ، وذات حياة ، وذات خصائص جامعة شاملة ، وقد البست وجوداً خارجياً !!

الاساس السادس : وستفهم : ان الانسان لم يترك حبله على غاربه ، ولم يترك طليقاً ليرتع اينما يريد ، بل تسجل جميع اعماله وتلتقط صورها ، وتلوّن جميع أفعاله ليحاسب عليها •

الاساس السابع : وستفهم : أن المثل والاندثار الذي يصيب - في

الخریف - مخلوقات الربیع والصیف الجميلة ، ليس فناءً نهائياً ، واعداً
أبدياً ، وانما هو اعفاء من وظائفها بعد اكمالها وايفائها ، وتسريح منها (١) ،
وهو افساح مجالٍ وتخليةٍ مكانٍ لما سيأتي في الربيع الجديد من مخلوقات
جديدة • فهو تهيؤ وتهياة لما سيحل من الموجودات المأمورة الجديدة •
وهو تنبيه رباني لنوي المشاعر الذين أنستهم الغفلة مهامهم ،
ومنعمهم السكر عن السكر^(٢)

الاساس الثامن : وستفهم ان الصانع السرمدي لهذا العالم الفاني
له عالم غير هذا ، وهو عالم باقٍ خالد ، ويشوق عباده اليه ، ويسوقهم اليه •
الاساس التاسع : وستفهم : ان الرحمن الرحيم جل جلاله سوف
يكرم في ذلك العالم القسيح عباده المخلصين بما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر •• آمنا •

(١) نعم ، لابد من زوال الثمار والازهار والاوراق المحمولة على اغصان
ورؤوس الاشجار - التي هي خزينة الارزاق للرحمة الالهية - بعد
أن أدت وظيفتها وهرمت ، كيلا يوصد الباب امام ما يسيل وراها
ويخلفها ، والا صارت سداً منيعاً امام سعة الرحمة وحائلاً امام
مهام اخواتها ، فضلاً عن انها هي نفسها تنوي وتذبل بزوال شبابها •
وهكذا ، فالربيع أشبه بتلك الشجرة المثمرة ، المظهرة للحشر •
وعالم الانسان - في كل عصر - هو شجرة مثمرة ذات حكمة وعبرة ،
والارض جميعاً شجرة قلعة بديةٍ والدنيا كذلك شجرة مثيرة
للحيرة ترسل ثمارها الى سوق الآخرة ••

الحقيقة السابعة

باب الحفظ والحفيظة

وهو تجلي اسم

« الحفيظ والرقيب »

أمن الممكن : ان الحفيظ والرقيب الذي يحفظ بانتظام وميزان ما في السماء والارض ، وما في البر والبحر ، من رطب ويابس فلا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ان لا يحافظ ولا يراقب اعمال الانسان الذي يملك فطرة سامية ، ويشغل رتبة الخلافة في الارض ، ويحمل مهمة الامانة الكبرى ؟ . فهل يمكن ان لا يحافظ على افعاله التي تمس الربوبية ؟ ولا يفرزها بالمحاسبة ؟ ولا يزنها بميزان العدالة ؟ ولا يجازي فاعلها بما يليق به من ثواب وعقاب ؟؟ . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

نعم ، ان الذي يدير هذا الكون هو الذي يحافظ على كل شيء فيه ضمن نظام وميزان . والنظام والميزان ما هما إلا مظهران من مظاهر العلم والحكمة مع الارادة والقدرة ، لاننا نشاهد أن أيّ مصنوع كان لم يخلق ولا يخلق إلا في غاية الانتظام والميزان ، وان الصور التي يغيرها طووال حياته كما انها في انتظام دقيق فان مجموعها ايضاً ضمن نظام متقن محكم . ونرى ايضاً ان الحفيظ ذا الجلال يحفظ شتى الصور لكل شيء - حالما يختم عمره مع انتهاء وظيفته ويرحل من عالم الشهادة - يحفظها سبحانه

في الازدهان التي هي أشبه ما تكون بالالواح المحفوظة (١) وفي ما تشبه بمرايا مثالية ، فيكتب معظم تاريخ حياته في بنوره وينقشه نقشاً في ثماره . فيديم حياته ويحفظها في مرايا ظاهرة وباطنة ٠٠٠ فحافضة البشر ، وثمر الشجر ، ونواة الثمر ، وبذر الزهر ٠٠٠ كل ذلك يبين عظمة احاطة الحفيظية .

ألا ترى : كيف يُحافظ على كل شيء مزهر ومثمر في الربيع الشاسع العظيم ، وكيف يُحافظ على جميع صحائف اعماله الخاصة به ، وعلى جميع قوانين تركيبه ونماذج صوره ، كتابةً في عدد محدود من البُذيرات . حتى اذا ما أقبل الربيع تنشر تلك الصحائف وفق حساب دقيق يناسبها فيخرج الى الوجود ربيعاً هائلاً في غاية الانتظام والحكمة . الا يبين هذا مدى نفوذ الحفظ والرقابة ، ومدى قوة احاطتهما الشاملة ؟ فلئن كان الحفظ الى هذا الحد من الاتقان والاحاطة فيما لا أهمية له وفي أشياء مؤقتة عادية ، فهل يُعقل علم الاحتفاظ بأعمال البشر ، التي لها ثمار مهمة في عالم الغيب وعالم الآخرة وعالم الأرواح ، ولدى الربوبية المطلقة ؟! فهل يمكن اهمالها وعدم تدوينها ؟ حاشى الله ٠٠

نعم ، يفهم من تجلي هذه الحفيظية ، وعلى هذه الصورة الواضحة : ان لمالك هذه الموجودات عنايةً بالغةً لتسجيل كل شيء وحفظه ، وضبط كل ما يجري في ملكه ، وله منتهى الرعاية في حاكميته ، ومنتهى العناية في سلطنة ربوبيته ، بحيث انه يكتب ويستكتب أدنى حادثة وأهون عمل محتفظاً بصور كل ما يجري في ملكه في محافظ كثيرة . فهذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على: انه سيلفتح - بلاشك - سجل لمحاسبة الاعمال، ولاسيما لهذا المخلوق المكرّم والمُعزّز والمنفطور على مزايا عظيمة ، ألا وهو الانسان . فلا بد أن تدخل اعماله التي هي عظيمة ، وافعاله التي هي مهمة ضمن ميزان

(١) انظر حاشية الصورة السابعة .

حساس ومحاسبة دقيقة ، ولابد ان تنشر صحائف اعماله .

فيا ترى هل يمكن أن يقبل عقل بأن يترك هذا الانسان الذي أصبح مكرماً بالخلافة والامانة ، والذي ارتقى الى مرتبة القائد والشاهد على المخلوقات بتدخله في شؤون عبادة أغلب المخلوقات وتسبيحاته بإعلانه الوحدانية في ميادين المخلوقات الكثيرة وشهوده الشؤون الكلية للربوبية . فهل يمكن ان يترك هذا الانسان ينهب الى القبر لينام هادئاً دون أن ينبه ليسأل عن كل صغيرة وكبيرة من اعماله ، ودون ان يساق الى المحشر ليحاكم في المحكمة الكبرى ؟ . كلا ثم كلا ! .

ثم ، كيف يمكن ان ينهب هذا الانسان الى العدم ، وكيف يمكن أن يتوارى في التراب فيفلت من يد القدير ذي الجلال الذي تشهد جميع الوقائع - التي هي معجزات قدرته - في الازمنة الغابرة على قدرته العظيمة لما سيحدث من الممكنات في الازمنة (١) الآتية . تلك القدرة التي تحدث

(١) ان الماضي الممتد منذ الآن الى بدء الخليقة مليء بالوقائع والاحداث ، فكل يوم ظهر الى الوجود منه سطر ، وكل سنة منه صحيفة ، وكل عصر منه كتاب ، رسمه قلم' القدر ، وخطت فيه يد' القدرة آياتها المعجزة بكل حكمة وانتظام .

وان المستقبل الذي يمتد من الآن الى يوم القيامة ، والى الجنة ، والى الابد ، انما هو ضمن الممكنات ، أي : كما ان الماضي هو وقائع وقعت فعلاً ، فالمستقبل كذلك ممكنات يمكن ان تقع فعلاً . واذا قوبلت سلسلتا هذين الزمانين فلا ريب في : أن الذي خلق الأمس بما فيه من الموجودات ، قادرٌ على خلق الغد ، بما سيكون فيه من الموجودات . ولا ريب كذلك : ان موجودات وخوارق الزمن الماضي - الذي هو معرض العجائب والغرائب - هي معجزات القدير ذي الجلال وهي تشهد شهادة قاطعة على : ان سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق المستقبل كله ، وما فيه من الممكنات كلها ، وان يمرض فيه عجائبه ومعجزاته كافة .

الشتاء والربيع الشبيهين بالقيامة والحشر ؟ ولما كان الانسان لا يحاسب
- في هذه الدنيا - حساباً يستحقه ، فلا بد انه سيذهب يوماً الى محكمة
كبيرة وسعادة عظمى .

نعم ، فكما ان الذي يقدر على خلق تفاحة واحدة لابد ان يكون قادراً
على خلق تفاح العالم جميعاً ، بل على ايجاد الربيع الكبير . إذ من
لا يقدر على خلق الربيع لا يمكن ان يخلق تفاحة ، لأن تلك التفاحة
تنسج في ذلك المصنع . ومن يقدر على خلق تفاحة واحدة فهو اذن
قادر على خلق الربيع : فالتفاحة مثال مصغر للشجرة ، وللحديقة ،
بل هي مثال الكائنات جميعاً . والتفاحة من حيث الصنعة والاتقان
هي معجزة الصنعة ، حيث تتضمن بنورها تاريخ حياة شجرتها .
فالذي يخلقها خلقاً بديعاً كهذا لا يعجزه شيء مطلقاً .

وهكذا ، فالذي يخلق اليوم هو قادر على خلق يوم القيامة ، والذي
يحدث الربيع قادر على احداث الحشر ، والذي اظهر عوالم الماضي
وعلقها على شريط الزمان - بكل حكمة وانتظام - لاشك انه يقدر
على ان يظهر عوالم اخرى ويعلقها بخيط المستقبل ، وسيظهرها
حتماً . وقد أثبتنا بشكل قاطع في كثير من (الكلمات) ولاسيما في
(الكلمة السادسة والعشرين) بأن : « من لا يخلق كل شيء لا يقدر
على خلق شيء . ومن يخلق شيئاً واحداً يقدر على أن يخلق كل
شيء . وكذلك لو أُحيل ايجاد الاشياء الى ذات واحدة لسهلت كل
الاشياء كالشيء الواحد ، ولو أُسند الى الاسباب المتعددة والى الكثرة
لأصبح ايجاد الشيء الواحد صعباً بمقدار ايجاد الاشياء كلها الى
درجة الامتناع والمحال . . . » .

الحقيقة الثامنة

باب الوعد والوعيد

وهو تجلي اسم

« الجميل والجليل »

أمن الممكن : أن مبدع هذه الموجودات وهو العليم المطلق والقدير المطلق ان لا يوفي بما أخبر به مكرراً الانبياء عليهم السلام كافة بالتواتر ، وشهد به الصديقون والاولياء كافة بالاجماع من وعد ووعد ، مُظهراً عجزاً وجهلاً بذلك ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • علماً ان الأمور التي وعد بها ، وأوعدها ، ليست عسيرة على قدرته مطلقاً ، بل هي يسيرة وهينة ، وسهلة كسهولة اعادة الموجودات التي لا تحصى للربيع السابق بنواتها(١) أو بمثلها(٢) في الربيع المقبل • أما الوفاء بالوعد فكما هو ضروري لنا ولكل شيء كذلك ضروري لسلطنة ربوبيته • بعكس اخلاف الوعد فهو مضاد لعزة قدرته ، ومنافٍ لاحاطة علمه ، حيث لا يتأتى اخلاف الوعد إلا من الجهل أو العجز •

فيا أيها المنكر ! هل تعلم مدى حماقة ما ترتكب من جنائية عظمى بكفرك وانتكارك ! انك تصدق وهمك الكاذب ، وعقلك الهاذي ونفسك

(١) كجذور وأصول الاعشاب والاشجار •

(٢) كالاوراق والثمار •

الخداعة ، وتكذب مَنْ لا يضطر الى اخلاف الوعد ، ولا الى خلافه قط ، بل لا يليق الاخلاف بعزته وعظمته قطعاً • وإن جميع الاشياء وجميع المشهودات تشهد على كون وعده حقاً وصدقاً !! •• انك ترتكب جناية عظمى لا نهاية لها مع صغرك المتناهي ، فلا جرم انك تستحق عقاباً عظيماً أبدياً •• ولقياس عِظَم ما يرتكبه الكافر من جناية فقد وَرَد في الحديث الصحيح :

« فرس' الكافر يوم القيامة مثل اُحَد » ••• ان مَثَلَك هو كمثل ذلك المسافر الذي يغمض عينيه عن نور الشمس ويتبع ما في عقله من خيال ، ثم يريد أن ينوم طريقه المخيف بضياء ما في عقله من نور كنور اليراع ! •

فما دام الله سبحانه قد وعد ، وهذه الموجودات كلماته الصادقة بالحق ، وهذه الحوادث في العالم آياته الناطقة بالصدق ، نانه سيوفي بوعده حتماً ، وسيفتح محكمة كبرى ، وسيهب سعادة عظمى •

الحقيقة التاسعة

باب الاحياء والاماتة

وهو تجلي اسم

« الحي القيوم والمحيي والمميت »

امن الممكن : ان الذي أظهر قدرته بإحياء الأرض الضخمة بعد موتها وجفافها ، وبعث أكثر من ثلاثمائة ألف نوع من انواع المخلوقات ونشره لها ، مع ان بعث كل نوع عجيب كأعجوبة بعث البشر ٠٠٠ والذي أظهر احاطة علمه ضمن ذلك الإحياء بتمييزه كل كائن من بين ذلك الامتزاج والتشابك ٠٠٠ والذي وجه أنظار جميع عباده الى السعادة الأبدية بما وعدهم الحشر في جميع أوامره السماوية ٠٠٠ والذي أظهر عظمة ربوبيته بجعله الموجودات متكاتفه مترافقة ، فادارها ضمن أمره وإرادته ، مسخراً أفرادها ، معاوناً بعضها بعضاً ٠٠٠ والذي أولى البشر الأهمية القصوى ، بجعله أجمع ثمرة في شجرة الكائنات ، وألفها وأشدّها رقة ودلالة ، واكثرها مستجاباً للدعاء ، مسخراً له كل شيء ، متخذاً إياه مخاطباً ٠٠٠ أفمن الممكن لمثل هذا القدير الرحيم ، وهل يمكن لمثل هذا العليم الحكيم الذي أعطى هذه الأهمية للإنسان ان لا يأتي بالقيامة ؟ ولا يحدث الحشر أو يعجز عنه ! حاشَ لله !! وان لا يبعث البشر أو يعجز عنه ؟ وهل يمكن ان لا يفتح أبواب المحكمة الكبرى فلا يخلق الجنة والنار ؟؟ ٠٠٠ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

نعم ، ان الرب المتصرف في هذا العالم جلّ جلاله يحدث في هذه الأرض الخوّقة الضيقة ، في كل عصر ، وفي كل سنة ، وفي كل يوم نماذج وأمثلة كثيرة واشارات عديدة للحشر الاكبر . فعلى سبيل المثال :

انه يحشر في بضعة ايام في حشر الربيع ويبعث اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من أنواع النباتات والحيوانات من صغير وكبير ، فيحيي جذور الاشجار والاعشاب ، ويعيد بعض الحيوانات بعينها كما يعيد أمثال بعضها الآخر . ومع أن الفروق المادية بين البُذيرات المتناهية في الصغر جزئية جداً ، إلا انها تُبعث وتُحيا بكل تميّز ، وتشخص في منتهى السرعة في ستة ايام ، أو ستة أسابيع ، وفي منتهى السهولة والوفرة ، وبانتظام كامل وميزان دقيق ، رغم اختلافها وامتزاجها . فهل يمكن لمن يقوم بمثل هذه الاعمال ان يصعب عليه أمر ، أو يعجز عن خلق السموات والأرض في ستة أيام ، أو لا يستطيع ان يحشر الانسان بصيحة واحدة ؟ .. سبحانه الله عما يصفون .

فيا ترى ان كان ثمة كاتب ذو خوارق يكتب ثلاثمائة ألف كتاب مُسَدَّحت حروفها ومُسَخَّت ، يكتبها في صحيفة واحدة دون اختلاط ولا سهو ولا نقص وفي غاية الجمال ، ويكتبها جميعاً معاً خلال ساعة واحدة !! وقيل لك : ان هذا الكاتب سيكتب من حفظه في دقيقة واحدة كتابك الذي وقع في الماء وهو من تأليفه . فهل يمكنك أن ترد عليه وتقول : لا يستطيع . لا أصلق ؟! ... أو أن سلطاناً ذا معجزات يرغم الجبال وينسفها ويفرّ المدن بكاملها ويحول البحر براً ، بإشارة منه ، اظهاراً لقدرته وجعلها آية للناس ... فبينما ترى منه هذه الاعمال اذا بصخرة عظيمة قد تدرجت الى وادٍ وسدّت الطريق على ضيوفه ، وقيل لك : ان هذا السلطان سيميط حتماً تلك الصخرة من على الطريق ويحطمها مهما كانت كبيرة ، حيث

لا يمكن ان يدع ضيوفه في الطريق ٠٠٠ كم يكون جوابك هديانا أو جنونا
اذا ما أجبتة بقولك : لا ، لا يستطيع أن يفعل !!؟ ٠٠٠ أو أن
قائدا يمكنه أن يجمع من جديد افراد جيشه الذي شكله بنفسه في يوم
واحد . وقيل لك : ان هذا سيجمع افراد تلك الفرق وسينضوي تحت
لوائه أولئك الذين سرّحوا وتفرّقوا ، بنفخة من بوق . فاجبتة : لا ،
لا أصلق ! . عندهما تفهم أن جوابك هذا ينبىء عن تصرف جنوني ، أي -
جنون !!

فاذا كنت قد فهمت هذه الامثلة الثلاثة فتأمل في النقاش الازلي
ذلكم الباري المصور سبحانه وتعالى الذي يكتب امام افئتنا بأحسن صورة
واتمها بقلم القدرة والقدرة اكثر من ثلاثمائة ألف نوع من الانواع على
صحيفة الارض ، مبدلا صحيفة الشتاء البيضاء الى الاوراق المفتحة للربيع
والخريف ، يكتبها متداخلة دون اختلاط ، يكتبها معاً دون مزاحمة ولا
التباس ، رغم تباين بعضها مع البعض الآخر في التركيب والتمثيل .
نلا يكتب خطأ مطلقا . أفيمكن أن يسأل الحفيظ الحكيم الذي أنجز خطة
روح الشجرة الضخمة ومنهاجها في بنة متناهية في الصغر - كنها نقطة -
مئاتها عليها : كيف سيحافظ على ارواح الاموات ؟ . أم هل يمكن أن
يسأل القدير ذو الجلال الذي يجري الارض في دورتها بسرعة فائقة ،
كيف سيزيلها من على طريق الآخرة ، وكيف سيدمرها ؟؟ أم هل يمكن أن
يسأل ذو الجلال والاکرام الذي أوجد الذرات من العدم ونسقها بأمر
« كن فيكون » في أجساد جنود الاحياء ، فأنشأ منها الجيوش الهائلة ، كيف
سيجمع - بصيحة واحدة - تلك الذرات الاساسية التي تعارفت فيما بينها ،
وتلك الاجزاء الاساسية التي انضوت تحت لواء فرقة الجسد ونظامه ؟؟

فها أنت ذا ترى بعينيك كم من نماذج وامثلة وامارات للحشر

شبيهة بحشر الربيع ، قد أبدعها الباري سبحانه وتعالى في كل موسم ، وفي كل عصر ، حتى ان تبديل الليل والنهار ، وانشاء السحاب النقال وافداعها من الجو ، نماذج للحشر وأمثلة وامارات عليه .

واذا تصورت نفسك قبل ألف سنة مثلاً ، وقابلت بين جناحي الزمان الماضي والمستقبل ، ترى أمثلة الحشر والقيامة ونماذجها بعدد العصور والايام .

فلو ذهبت الى استبعاد الحشر الجسماني وبعث الاجساد - متوهمة انه بعيد عن العقل - بعد ما شاهدت هذا العدد الهائل من الامثلة والنماذج، فستفهم مدى ما ترتكبه من حماقة .

تأمل ماذا يقول الدستور الاعظم حول هذه الحقيقة [فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير]

الخلاصة :

ليس هناك شيء يحول دون حدوث الحشر ، بل كل شيء يقتضيه ويستدعيه . نعم ! ان الذي يحيي هذه الارض الهائلة - وهي ممرض، المجانب - ويميتها كأدنى حيوان ، والذي جعلها مهداً مريحاً وسفينة جميلة للانسان والحيوان ٠٠٠ وجعل الشمس ضياءً وموقداً لهذا المضيف ٠٠٠ وجعل الكواكب السيارة والنجوم اللامعة مساكن طائرات للملائكة ٠٠٠ ان ربوبية خالدة جليلة الى هذا الحد ، وحاكمة محيطه عظيمة الى هذه الدرجة ، لا تستقران ولا تنحصران في أمور الدنيا الفانية الزائلة الواهية السيالة التافهة المتغيرة . فلا بد أن هناك داراً أخرى باقية ، دائمة ، جليلة ، عظيمة ، مستقرة . فهو - سبحانه - يدعونا ويسوقنا الى السعي الدائب لأجل تلك الممالك والديار . يشهد على ذلك اصحاب الارواح النيرة ،

وأقطاب القلوب المنورة ، وأرباب العقول النورانية ، الذين نفنوا من الظاهر الى الحقيقة ، والذين نالوا شرف التقرب اليه سبحانه . فهم يبلغوننا - متفقين - انه سبحانه قد أعد ثواباً وجزاءً ، وأنه يعدّ وعداً قاطعاً ، ويوعد وعيداً جازماً .

فاختلاف الوعد لا يمكن أن يدنو الى جلاله المقدس ، لانه ذلّة ونذل . وأما اخلاف الوعيد فهو ناشئ إما عن العفو أو العجز والحال أن الكفر جنائية مطلقة (١) لا يستحق العفو والمغفرة . أما القدير المطلق فهو قدوس منزّه عن العجز ، وأما المخبرون والشهود فهم متفقون اتفاقاً كاملاً على اساس هذه المسألة رغم اختلاف مسالكهم ومناهجهم ومشاربهم . فهم من حيث الكثرة بلغوا درجة التواتر ، ومن حيث النوعية بلغوا قوة الاجماع ، ومن حيث المنزلة فهم نجوم البشرية وهداتها وأعزة القوم وقرّة عيون الطوائف . ومن حيث الأهمية فهم في هذه المسألة « أهل اختصاص » وأهل اثبات ، . ومن المعلوم ان حكم اثنين من أهل الاختصاص - في علم أو صنعة - يرجّح على آلاف من غيرهم ، وفي الاخبار والرواية يرجح قول اثنين من المثبتين على آلاف النافين المنكرين ، كما في اثبات رؤية هلال

(١) نعم ان الكفر اهانة وتحقير للكائنات جميعاً ، حيث يتهمها بالعبثية وانتفاء النفع . وهو تزييف تجاه اسماء الله الحسنى ، لانه ينكر تجلي تلك الاسماء على مراكب الموجودات . وهو تكذيب للمخلوقات جميعاً حيث يردّ شهادة الموجودات على الوحدانية . لذا فانه يفسد قوى الانسان واستعداداته الى درجة يسلب منه القدرة على تقبل الخير والصالح . فالكفر اذن ظلم عظيم جداً ، اذ هو تجاوز لحقوق جميع المخلوقات ، ولجميع الاسماء الحسنى ، لذا فحفاظاً على هذه الحقوق ، ولعلم تمكن نفس الكافر من قبول الخير ، اقتضى حرمانه من العفو . والآية الكريمة : (ان الشِرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ) تفيد هذا المعنى .

رمضان ، حيث يرجح شاهدان مثبتان ، بينما يضرب بكلام آلاف من النافين
عرض الحائط .

والخلاصة : ليس في العالم خبر أصلق من هذا ، ولا قضية أعوب
منها ، ولا حقيقة أظهر منها ولا أوضح . فلا شك ان الدنيا مزرعة ، وانحشر
بيدر ، والجنة والنار مخزنان .

الحقيقة العاشرة

باب الحكمة والعناية والرحمة والعدالة

وهو تجلي اسم

« الحكيم والكريم والعاقل والرحيم »

أمن الممكن : ان مالك الملك ذا الجلال الذي اظهر في دار ضيافة الدنيا الفانية هذه ، وفي ميدان الامتحان الزائل هذا ، وفي معرض الارض المتبدل هذا ، هذا القدر من آثار الحكمة الباهرة ، وهذا المدى من آثار العناية الظاهرة ، وهذه الدرجة من آثار العدالة القاهرة ، وهذا الحد من آثار الرحمة الواسعة . أمن الممكن ان لا ينشئ في عالم ملكه وملكوته مساكن دائمة ، وسكنة خالدين ، ومقامات باقية ، ومخلوقات مقيمين . فتذهب جميع الحقائق الظاهرة لهذه الحكمة ، ولهذه العناية ، ولهذه العدالة ، ولهذه الرحمة ، هباءً منثوراً ؟

وهل يعقل : أن الحكيم ذا الجلال الذي اختار هذا الانسان - من بين المخلوقات - وجعله مخاطباً كلياً له ، ومراًة جامعة لاسمائاته الحسنى ، ومتدبراً لما في خزائن رحمته من ينابيع ، ومتدوقاً لها ومتعرفاً اليها ، والذي عرف سبحانه ذاته الجليلة له بجميع أسمائه الحسنى ، فأحبّه وحبّه اليه أمن المعقول بعد كل هذا ان لا يرسل هذا « الحكيم » جل وعلا ذلك الانسان المسكين الى مملكته الخالدة تلك ؟ ولا يسعده في تلك الدار السعيدة بعد أن دعاه اليها ؟؟

أم هل يعقل : أن يحمل كل موجود وظائف جمّة - ولو كان بذرة -
ينقل الشجرة ، ويكتب عليه حكماً بعدد أزهارها ، ويقلمه مصالح بعدد
ثمارها ، ثم يجعل غاية الوجود لتلك الوظائف والحكم والمصالح جميعها
مجرد ذلك الجزء الضئيل المتوجه الى الدنيا • أي يجعل غاية الوجود هي
البقاء في الدنيا فقط ، الذي لا أهمية له حتى بمشغال حبة من خردل ؟؟
ولا يجعل تلك الوظائف والحكم والمصالح بذوراً لعالم المعنى ، ولا مزرعة
لعالم الآخرة لشمر غاياتها الحقيقية اللاتقة بها •

وهل يعقل : ان تذهب جميع هذه المهرجانات الرائعة والاحتفالات
العظيمة هباءً بلا غاية ، وسدى بلا معنى وعبثاً بلا حكمة ؟!

أم هل يعقل : ان لا يوجّه كلها الى عالم المعنى وعالم الآخرة لتظهر
غاياتها الأصلية وأثمارها الجديرة بها ؟!

نعم ! أمن الممكن : ان يظهر كل ذلك خلافاً للحقيقة ، خلافاً لأوصافه
المقدسة وأسمائه الحسنى : « الحكيم ، الكريم ، العادل ، الرحيم ، كلا • •
نم كلا •

أم هل من الممكن : أن يكذب سبحانه حقائق جميع الكائنات الدالة على
أوصافه المقدسة من حكمة وعدلٍ وكرمٍ ورحمة ، ويردّ شهادة الموجودات
جميعاً ، ويبطل دلائل المصنوعات جميعاً ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً •

وهل يقبل العقل : أن يعطي للانسان اجرة دنيوية زهيدة ، زهادة
شعرة واحدة ، مع انه اناط به وبحواسه مهاماً ووظائف هي بعدد شعرات
رأسه ؟ فهل يمكن ان يقوم بمثل هذا العمل الذي لا معنى له ولا مغزى خلافاً
لعدالته الحقّة ، ومنافاة لحكمته الحقيقية ؟ سبحانه وتعالى عما يقولون
علواً كبيراً •

أو من الممكن : أن يقلّد سبحانه كل ذي حياة ، بل كل عضو فيه
- كاللسان مثلاً - بل كل مصنوع ، من الحكيم والمصالح بعدد أنمار كل
شجرة - مظهرًا حكمته المطلقة - ثم لا يمنح الإنسان البقاء والخلود ،
ولا يهب له السعادة الأبدية التي هي أعظم الحكيم ، وأهم المصالح ، ولزم
النتائج ؟ فيترك البقاء واللقاء والسعادة الأبدية التي جعلت الحكمة حكمة ،
والنعمة نعمة ، والرحمة رحمة ، بل هي مصدر جميع الحكم والمصالح
والنعم والرحمة ومنبعها . فهل يمكن أن يتركها ويهملها ويسقط تلك
الأمور جميعها الى هاوية العبث المطلق ؟ ويضع نفسه - تعالى الله عن ذلك
علوًا كبيرًا - بمنزلة من يبني قصرًا عظيمًا يضع في كل حجر فيه آلاف النقوش
والزخارف ، وفي كل زاوية فيه آلاف الزينة والتجميل ، وفي كل غرفة فيه
آلاف الآلات الثمينة والحاجيات الضرورية . ثم لا يبني له سقفًا ليحفظه ؟!
فيتركه ويترك كل شيء للبلى والفساد ! حاش لله . أن الخير يصدر من
الخير المطلق ، وأن الجمال يصدر من الجميل المطلق ، فلن يصدر من
الحكيم المطلق العبث البتة .

نعم ! أن كل من يمتطي التاريخ ويذهب خيالًا الى جبهة الماضي سيرى :
أنه قد ماتت بعدد السنين منازل ومعارض وميادين وعوالم مما يشبه
منزل الدنيا ، وميدان الابتلاء ، ومعرض الأشياء ، في وقتنا الحاضر .
فرغم ما يرى من اختلاف بعضها عن البعض الآخر صورةً ونوعًا ، فإنها
تشابه في الانتظام ، والابداع ، وابرار قدرة الصانع وحكمته .

وسيرى كذلك - ما لم يفقد بصيرته - : أن في تلك المنازل المتبدلة ،
وفي تلك الميادين الزائلة ، وفي تلك المعارض الفانية . . . من الأنظمة
الباهرة الساطعة للحكمة ، والاشارات الجليّة الظاهرة للعناية ، والامارات
القاهرة المهيمنة للعدالة ، والثمار الواسعة للرحمة ما سيدرك يقينًا أنه :

لا يمكن ان تكون حكمة اكمل من تلك الحكمة المشهوده ، ولا يمكن ان تكون
عنقية لزوع من تلك العناية الظاهرة الآثار ، ولا يمكن ان تكون عدالة أجل
من تلك العدالة الواضحة أماراتها • ولا يمكن ان تكون رحمة أشمل من
تلك الرحمة الظاهرة الثمار •

وإذا افترض الحال ، وهو أن السلطان السرمدي - الذي يدير هذه
الامور ، ويغير هؤلاء الضيوف والمستضافات باستمرار - ليست له منازل
دائمة ، ولا أماكن راقية سامية ، ولا مقامات ثابتة ، ولا مساكن باقية ،
ولا رعايا خالدون ، ولا عباد سعدة في مملكته الخالدة • يلزم عندئذ انكار
الحقائق الاربعة : (الحكمة ، والعدالة ، والعناية ، والرحمة) التي هي عناصر
قوية شاملة كالنور ، والهواء ، والماء ، والتراب ، وانكار وجودها الظاهر
ظهور تلك العناصر • لأنه من المعلوم ان هذه الدنيا وما فيها لا تقي لظهور
تلك الحقائق ، فلو لم يكن هناك في مكان آخر ما هو اهل لها ، فيجب
انكار هذه الحكمة الموجودة في كل شيء أمامنا - يجنون من ينكر الشمس
الذي يملأ نورها النهار - وانكار هذه العناية التي تشاهدها دائماً في أنفسنا
وفي اغلب الاشياء • وانكار هذه العدالة الجلية الظاهرة الامارات (١) •

(١) نعم ، ان العدالة شقان احدهما مثبت ايجابي ، والآخر منفي سلبي •
أما الايجابي فهو : اعطاء كل ذي حق حقه • فهذا القسم من
العدالة محيط وشامل لكل ما في هذه الدنيا لدرجة البدهة • فكما
ابتننا في « الحقيقة الثالثة » بان ما يطلبه كل شيء وما هو ضروري
لوجوده وادامة حياته - التي يطلبها بنسان استعداداه وبلغة حاجاته
الفطرية وبلسان اضطراذه من الفاطر ذي الجلال - يأتيه بميزان
خاص دقيق ، وبمعايير ومقاييس معينة ، أي أن هذا القسم من العدالة
ظاهر ظهور الوجود والحياة •

أما القسم السلبي فهو : تأديب غير المحقين ، أي احقاق الحق
بانزال الجزاء والعذاب عليهم • فهذا القسم وان كان لا يظهر بجلال
في هذه الدنيا الا ان هنالك اشارات وامارات تدل على هذه الحقيقة =

وانكار هذه الرحمة التي نراها في كل مكان . وكذلك يلزم ان يعتبر صاحب ما نراها من الاجراءات الحكيمة والافعال الكريمة ، والآلاء الرحيمة (حاشىَ الله ثم حاشىَ الله) لاهياً لاعباً ظالماً غداراً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وهذا هو انقلاب الحقائق باضدادها ، وهو منتهى المحال ، حتى السوفسطائيون الذين انكروا وجود انفسهم لم يدنوا الى تصوّر هذا المحال بسهولة .

والخلاصة : انه ليست هناك علاقة أو مناسبة بين ما يشاهد في شؤون العالم من تجمعات واسعة للحياة ، وافتراقات سريعة للموت ، وتكتلات ضخمة ، وتشتتات سريعة ، واحتفالات هائلة ، وتجليات رائعة . . وبين ما هو معلوم لدينا من نتائج جزئية ، وغايات تافهة مؤقتة ، وفترة قصيرة تعود الى الدنيا الفانية . لذا فالربط بينهما بعلاقة ، أو ايجاد مناسبة ، لا تنسجم مع عقل ولا توافق مع حكمة ، اذ يشبه ذلك ربط حكم هائلة وغايات عظيمة - كالجبل - الى حصاة صغيرة جداً ، وربط غاية تافهة جزئية مؤقتة - بحجم الحصاة - بجبل عظيم !!

أي إنَّ عدم وجود هذه العلاقة بين هذه الموجودات وشؤونها وبين غاياتها التي تعود الى الدنيا ، يشهد شهادة قاطعة ، ويدل دلالة واضحة على : أن هذه الموجودات متوجهة الى عالم المعنى ، حيث تعطي ثمارها اللائقة اللائقة هناك ، وان انظارها متطلعة الى الاسماء الحسنى ، وأن غاياتها ترقى الى ذلك العالم . ومع ان بذورها مخبوءة تحت تراب الدنيا الا ان سنابلها تبرز في عالم انشال . فالانسان - حسب استعداده - ينزوع وينزوع هنا ويحصد هناك في الآخرة .

= خذ مثلاً سوطَ العذاب وصفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود بل على الاقوام المتمردة في عصرنا هذا ، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها .

نعم ! لو نظرت الى وجوه الموجودات المتوجهة الى الاسماء الحسنى والى عالم الآخرة لرأيت :

ان لكل بنرة - وهي معجزة القدرة الالهية - غايات كبيرة كبر الشجرة • وان لكل زهرة - وهي كلمة الحكمة (١) - معاني جمّة بمقدار أزهار الشجر • وان لكل ثمرة - وهي معجزة الصنعة وقصيدة الرخمة - من الحكيم ما في الشجرة نفسها • أما من جهة كونها أرزاقاً لنا ، فهي حكمة واحدة من بين الوف الحكيم ، حيث أنها تنهي مهامها ، وتوفى مغزاها فتموت وتدفن في معدتنا •

فما دامت هذه الاشياء الفانية تؤتي ثمارها في غير هذا المكان ، وتودع هناك صوراً دائمة ، وتعبّر عن معاني خالدة ، وتؤتي اذكارها وتساييحها الخالدة السرمدية هناك • فالانسان اذن يصبح انساناً حقاً طالما يتأمل وينظر الى تلك الوجوه المتوجهة نحو الخلود • وعندها يجد سبيلاً من الفاني الى الباقي •

إذن هناك قصد آخر ضمن هذه الموجودات المحتشدة والمتفرقة التي تسيل في خضم الحياة والموت ، حيث ان احوالها تشبه - ولا مؤاخنة في الامثال - احوالاً واطواعاً ترتّب للتمثيل ، فتتفق نفقات باهظة لتهيئة اجتماعات وافتراقات قصيرة ، لأجل التقاط الصور وتركيبها لعرضها على الشاشة بصورة دائمة • وهكذا فان احدى غايات قضاء الحياة - الشخصية والاجتماعية - في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي : أخذ الصور ، وتركيبها ،

(١) فان قلت : لمَ تورد اغلب الامثلة من الزهرة والبذرة والثمرة ؟
الجواب : - لأنها ابداع معجزات القدرة الالهية واعجبها وألطفها ، ولما عجز اهل الضلالة والطبيعة والفلسفة المادية من قراءة ما خطّه قلمُ القدر والقدرة فيها من الكتابة الدقيقة ، تاهوا وغرقوا فيها ، وسقطوا في المستنقع الآسن للطبيعة •

وحفظ نتائج الاعمال ، ليحاسب امام الجمع الاكبر ، وليعرض امام العرض
الاعظم ، وليهيأ استعداداه ومواهبه للسعادة العظمى . فالحديث الشريف :
« الدنيا مزوعة الآخرة » يعبر عن هذه الحقيقة .

وحيث أن الدنيا موجودة فعلاً ، وفيها هذه الآثار الظاهرة للحكمة
والعناية والرحمة والعدالة ، فالآخرة موجودة حتماً ، وثابتة بقطعية ثبوت
منه الدنيا .

ولما كان كل شيء في الدنيا يتطلع - من جهة - الى ذلك العالم ، فالسير
اذن والرحلة الى هناك ، لذا فانتكار الآخرة هو انكار للدنيا وما فيها .
وكما ان الاجل والقبر ينتظران الانسان ، فان الجنة والنار كذلك تنتظرانه
وتتراضاه .

الحقيقة العادية عشرة

باب الانسانية

وهو تجلي اسم

« الحق »

أمن الممكن : ان الحق سبحانه وهو المعبود الحق ان يخلق هذا الانسان ليكون اكرمَ عبدٍ لربوبيته المطلقة ، واكثر اهمية لربوبيته العامة للعالمين ، واكثر المخاطبين ادراكاً وفهماً لأوامره السبحانية ، وفي أحسن تقويم حتى اصبح مرآة جامعة لأسمائه الحسنی وتجلي الاسم الاعظم وتجلي المرتبة العظمى لكل اسم من هذه الاسماء الحسنی . وليكون أجملَ معجزات القلعة الالهية ، واغناها اجهزة وموازنَ لمعرفة وتقدير ما في خزائن الرحمة الالهية من كنوز ، واكثرها فاقة وحاجة الى نعمة التي لا تحصى . واكثر المخلوقات تأثلاً من الفناء . وازيدها شوقاً الى البقاء . واكثرها لطافة ورقة وفقرّاً وحاجة . مع انه من جهة الحياة الدنيا اكثر تعاسة ، ومن جهة الاستعداد الفطري أسمى صورة واعلاها . . . فهل من الممكن ان يخلق المعبود الحق الانسان بهذه الماهية ثم لا يبعثه الى ما هو مؤهل له ومشتاق اليه من دار الخلود ؟! فيمحق الحقيقة الانسانية ويعمل ما هو منافٍ كلياً لأحقيقته سبحانه ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . .

وهل يعقل : أن الحاكم بالحق والرحيم المطلق الذي وهب هذا الانسان استعداداً فطرياً سامياً ما يمكنه على حمل الامانة الكبرى - التي أبت

السموات والارض والجبال ان يحملنها - أي خَلَقَه ليعرف صفات خالقه سبحانه الشاملة المحيطة وشؤونه الكلية وتجلياته المطلقة ، بموازينه الجزئية وبمهاراته الضئيلة ٠٠٠ والذي برآه ألطف المخلوقات واعجزها وأضعفها . فسخر له جميعها من نبات وحيوان ، حتى نصبه مشرفاً ومنظماً ومتدخلًا في انماط تسبيحاتها وعباداتها ٠٠ والذي جعله نموذجًا - بمقاييس مصغرة - للاجراءات الالهية في الكون ، ودلالة لاعلان الربوبية المنزهة - فعلاً وقولاً - على الكائنات ، حتى منحه منزلة اكرم من منزلة الملائكة ، رافعا اياه الى مرتبة الخلافة ٠٠ فهل يمكن : ان يهب سبحانه للانسان كل هذه الوظائف ثم لا يَهَبَ له غاياتها ونتائجها وثمارها وهي السعادة الابدية ؟ فيرميه الى درك الذلة والمسكنة والمصيبة والاسقام ، ويجعله أتعس مخلوقاته ؟؟ ويجعل هذا العقل - الذي هو هدية مباركة نورانية لحكمته سبحانه . وسيلة لمعرفة السعادة - آلة تعذيب وشؤم ، خلافاً لحكمته المطلقة ، ومنافاة لرحمته المطلقة ؟؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

الخلاصة : كما اننا رأينا في الحكاية أن في هوية الضابط ودنبر خدمته رتبته ، ووظيفته ، ومرتبته ، وأفعاله ، وعتاده ، واتضح لدينا أن ذلك الضابط لا يعمل ولا يسعى لأجل هذا الميدان المؤقت ، بل لما سيرجل اليه من تكريم وإنعام في مملكة مستقرة دائمة . وكذلك فان ما في هوية قلب الإنسان من لطائف ، وما في دفتر عقله من حواس ، وما في فطرته من أجهزة وعتاد متوجهة جميعاً ومعاً الى السعادة الابدية ، وما منحت له الا لأجل تلك السعادة الابدية . وهذا ما يتفق عليه أهل التحقيق والكشف . فعلى سبيل المثال :

لو قيل لقدرة التخيل في الانسان - وهي أحد وسائل العقل وأحد مصوره - ستُمنح لك سلطنة الدنيا وزينتها مع عمر يزيد على مليون

سنة ولكن مصيرك الفناء والعدم حتماً • نراها تتأوه • وتتهجر •
(ان لم يتدخل الوهم وهوى النفس) • أي ان أعظم فأن - وهو الدنيا
وما فيها - لا يمكنه ان يشبع اصغر آلة في الانسان وهي الخيال !
يظهر من هذا جلياً : ان هذا الانسان الذي له هذا الاستعداد النظري ،
والذي له آمال تمتد الى الابد ، وافكار تحيط بالكون ، ورغبات تنتشر في
ثنايا انواع السعادة الابدية • هذا الانسان انما خلق للابد ، وسيرحل
اليه حتماً • فليست هذه الدنيا الا مستضافاً مؤقتة ، وصالة انتظار الآخرة •

الحقيقة الثانية عشرة

باب الرسالة والتنزيل

وهو تجلي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

أمن الممكن : أن الذي آتد كلامه جميع الأولياء الصالحين المعززين بكشفياتهم وكراماتهم ، وشهد بصدقه جميع العلماء والاصفياء المستندين على تدقيقاتهم وتحقيقاتهم ٠٠٠ ذلكم هو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح بما أوتي من قوة طريق الآخرة وباب الجنة ، مصدقاً بألف من معجزاته الثابتة ، وبآلاف من آيات القرآن الكريم الثابت اعجازاً بأربعين وجهاً . فهل من الممكن ان تسد اوهام هي اوهى من جناح ذبابة ما فتحه هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من طريق الآخرة وباب الجنة ؟!

★ ★ ★

● وهكذا لقد فهم من الحقائق السابقة ان مسألة الحشر حقيقة راسخة قوية بحيث لا يمكن ان تزحزحها أية قوة مهما كانت حتى لو استطاعت أن تزيع الكرة الارضية وتحطمها ، ذلك لان : الله سبحانه وتعالى يقر تلك الحقيقة بمقتضى أسمائه الحسنی جميعها وصفاته الجليلة كلها . وان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يصدقها بمعجزاته وبراهينه كلها . والقرآن

«الكريم يشبتها بجميع آياته وحقايقه • والكون يشهد لها بجميع آياته
التوينية وشؤونه الحكيمه •

فهل من الممكن يا ترى ان يتفق مع واجب الوجود سبحانه وتعالى
جميع 'الموجودات - عدا الكفار - في حقيقة الحشر ، ثم تأتي وسوسة'
وشبهة شيطانية واهية ضعيفة لتزيح هذه الحقيقة الراسخة الشامخة
وتزعزعها ؟! كلا ••• ثم كلا •••

ولا تحسبنَ ان دلائل الحشر منحصرة في ما بحثناه من الحقائق الاثنتي
عشرة ، بل كما ان القرآن الكريم وحده يعلمنا تلك الحقائق ، فانه يشير
كذلك بالآلاف من الاوجه والامارات القوية الى أن خالقنا سينقلنا من دار الفناء
الى دار البقاء •

ولا تحسبنَ كذلك ان دلائل الحشر منحصرة فيما بحثناه من مقتضيات
الاسماء الحسنی « الحكيم ، الكريم ، الرحيم ، العادل ، الحفيظ » بل ان
جميع الاسماء الحسنی المتجلية في تدبير الكون تقتضي الآخرة وتستلزمها •

ولا تحسب ايضا ان آيات الكون الدالة على الحشر هي تلك التي
ذكرناها فحسب ، بل هناك آفاق وأوجه في اكثر الموجودات تفتح وتوجه
يميناً وشمالاً ، فمثلاً تدل وتشهد على الصانع سبحانه وتعالى من جهة ،
فانها من جهة اخرى تشير الى الحشر وتوميء اليه • فمثلاً : ان ما في خلق
الانسان على احسن تقويم ، من حسن الصنعة المثقنة ، مثلاً هو اشارة الى
الصانع سبحانه ، فان ما فيه من قابليات وقوى جامعة ، التي تزول في
مدة يسيرة ، تشير الى الحشر • حتى اذا ما لوحظ وجه واحد فقط
بنظرتين ، فانه يدل على الصانع والحشر معاً •

فمثلا : اذا لوحظت ماهية' ما هو ظاهر" في اغلب الاشياء من تنظيم
الحكمة ، وتزيين العناية ، وتقدير العدالة ، ولطافة الرحمة ، تبين انها
صادرة من يد القدرة لصانع حكيم ، كريم ، عادل ، رحيم • كذلك اذا
لوحظت عظمة هذه الصفات الجليلة وقوتها وطلاقتها ، مع قصر حياة هذه
الموجودات في هذه الدنيا وزهادتها فان الآخرة تتبين من خلالها •
أي ان كل شيء يقرأ ويستقرى بلسان الحال قائلا :

آمنت بالله وباليوم الآخر •

الخاتمة

ان الحقائق الاثنتي عشرة السابقة يؤيد بعضها البعض الآخر ، وتكمل احداها الاخرى وتسندهما وتدعمهما ، فتبين النتيجة من مجموعها واتحادها معاً . فأي وهم يمكنه ان ينفذ من هذه الاسوار الاثنتي عشر الحديد - بل الماس - المنيع ليزعزع الايمان بالحشر المحصن بالحسن الحبيب : فالآية الكريمة « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » تفيد : ان خلق جميع البشر وحشرهم سهل ويسير امام القدرة الالهية ، كخلق انسان واحد وحشره . نعم ، وهو هكذا حيث فصلت هذه الحقيقة في بحث « الحشر » من رسالة « النقطة » (١) . إلا اننا سنشير هنا الى خلاصتها مع ذكر الامثلة ، ومن اراد التفصيل فليراجع تلك الرسالة .

فمثلاً : والله المثل الأعلى - ولا جدال في الأمثال - ان الشمس مثلما ترسل - ولو ارادياً - ضوءها بسهولة تامة الى ذرة واحدة ، فانها ترسله بسهولة نفسها الى جميع المواد الشفافة التي لا حصر لها ، وذلك بسر « النورانية » .

وان أخذ بؤبؤ ذرة شفافة واحدة لصورة الشمس هو مساوٍ لأخذ سطح البحر الواسع لها ، وذلك بسر « الشفافية » .

وان الطفل مثلما يمكنه ان يحرك دُمَيْتَهُ الشبيهة بالسفينة ، يمكنه ان يحرك كذلك السفينة الحقيقية ، وذلك بسر « الانتظام » الذي فيها .

(١) « نقطة من نور معرفة الله » رسالة قيِّمة في الايمان ودلائله ، ألفها الاستاذ النورسي قبل شروعه بتأليف رسائل النور سنة ١٩٢٦ ، وهي مطبوعة ضمن كتاب « المتنوى العربي النورى » (المترجم) .

وأن القائد الذي يسيّر الجندي الواحد بأمر « سير » فانه يسوق الجيش بأكمله بالكلمة نفسها ، وذلك بسر « الامثال والطاعة » .

ولو افترضنا ميزاناً حساساً جداً في الفضاء ، بحيث يتحسس وزن جوزة صغيرة في الوقت الذي يمكن ان توضع في كفتيه شمسان . ووجدت في الكفتين جوزتان أو شمسان ، فان الجهد المبذول لرفع احدى الكفتين الى الاعلى والاخرى الى الاسفل هو الجهد نفسه ، وذلك بسر « الموازنة » .

فما دام اكبر شيء يتساوى مع أصغره ، وما لا يعدّ من الاشياء يظهر كالشيء الواحد في هذه المخلوقات والممكنات الاعتيادية - وهي ناقصة فانية - لما فيها من (النورانية ، والشفافية ، الانتظام ، والامثال ، والموازنة) فلا بدّ انه يتساوى أمام القدير المطلق : القليل والكثير ، والصغير والكبير ، وحشر جميع الناس وفرد واحد منهم بصيحة واحدة ، وذلك بالتجليات « النورانية » المطلقة لقدرته النائية المطلقة التي هي في منتهى الكمال . و « الشفافية » في ملكوتية الاشياء ، و « بانتظام » الحكمة والقدرة ، و « امثال » الاشياء وطاعتها لأوامره التكوينية امتثالاً كاملاً بسر « موازنة » الامكان الذي هو تساوي الممكنات في الوجود والعدم .

ثم ان مراتب القوة والضعف لشيء ما عبارة عن تداخل ضده فيه ، فدرجات الحرارة - مثلاً - هي ناتجة من تداخل البرودة ، ومراتب الجمال متولدة من تداخل القبح ، وطبقات الضوء هي من دخول الظلام . إلا ان الشيء ان كان ذاتياً غير عرضي ، فلا يمكن لضده أن يدخل فيه ، وإلا لزم اجتماع الضدين وهو محال . أي أنه ليست هناك مراتب فيما هو ذاتي وأصيل . فما دامت قدرة القدير المطلق ذاتية ، وليست عرضية كالممكنات ، وهي في كمال المطلق ، فمن المحال اذن أن يطرا عليها المعجز الذي ضده . أي ان خلق الربيع بالنسبة لذي الجلال هيّن كخلق زهرة

واحدة ، وبعث الناس جميعاً سهل ويسير كبعث فرد منهم ، بخلاف ما اذا
أُسند الامر الى الاسباب المادية ، فعندئذ يكون خلق زهرة واحدة
صعب كخلق الربيع .

* * *

وكل ما تقدّم من الامثلة والايضاحات - منذ البداية - لصور الحشر
وحقائقه ما هي إلا من فيض القرآن الكريم ، وما هي إلا لتهيئة النفس
للتسليم ، والقلب للقبول . اذ القول الفصل للقرآن الكريم والكلام كلامه ،
والقول قوله ، فلنستمع اليه . . . فله الحجة البالغة . . .

« فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن
ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » الروم/ ٥٠ .

« . . قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة وهو بكل خلق عليم » يس/ ٧٨ ، ٧٩ .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » الحج/ ١ ، ٢ .
« الله لا إله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن
أصدق من الله حديثاً » النساء/ ٨٧ .

« ان الأبرار لفي نعيم . وان الفجار لفي جحيم » الانفطار/ ١٣ ، ١٤ .

« اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض أثقالها . وقال
الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بان ربك أوحى لها . يومئذ
يصدّر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .
ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » سورة الزلزال .

« القارعة » • ما القارعة • وما ادراك ما القارعة • يوم يكون الناس كالفراس المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • فاما من نقلته موازينه • فهو في عيشة راضية • واما من خفت موازينه • فاما • هاربة • وما ادراك ماهيه • نار حامية » سورة القارعة

« والله غيب السموات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير » • سورة النحل/٧٧

★ ★ ★

ولنستمع الى امثال هذه الآيات البينات • ولنقل آما وعقدنا • آمنت بالله وملانكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشراءه من الله تعالى ، والبعث بعد الموت حق ، وان الجنة حق ، والنار حق ، وان الشفاعة حق ، وان منكراً ونكيراً حق ، وأن الله يبعث من في القبور • اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله •

اللهم صل على الطف واشرف واكمل واجمل ثمرات طوبى رحمتك الذي أرسلته رحمة للعالمين ووسيلة لوصولنا الى أزين واحسن واجنى واعلى ثمرات تلك الطوبى المتدلية على دار الآخرة – أي الجنة – •

اللهم أجرنا وأجر والدينا من النار وأدخلنا وأدخل والدينا الجنة مع الأبرار بجاء نبيك المختار ••• آمين •

★ ★ ★

● فيا أيها الأخ القارىء لهذه الرسالة بانصاف : لا تقل ليم لا احيط فهما بهذه الكلمة العاشرة (رسالة الحشر) ••• لا تفتن ولا تضايق من علم الاحاطة بها ، فان فلاسفة دهاة – امثال ابن سينا – قد قالوا : (الحشر ليس على مقاييس عقلية) وانما نؤمن به فحسب • اذ لا يمكن سلوك

سبيله ، وسبر غوره بالعقل • وكذلك اتفق علماء الاسلام بأن قضية الحشر قضية عقلية ، أي ان أدلتها عقلية ، ولا يمكن الوصول اليها عقلاً • لذا فان سبيلاً غائراً ، وطريقاً عالياً سامياً في الوقت نفسه ، لا يمكن ان يكون بسهولة طريق عام يمكن ان يسلكه كل سالك •

ولكن بفيض القرآن الكريم ، وبرحمة الخالق الرحيم قد منّ علينا السير في هذا الطريق الرفيع العميق ، في هذا العصر الذي تحطم فيه التقليد وفسد الاذعان والتسليم • فما علينا إلا تقديم آلاف الشكر الى الباري عز وجلّ على احسانه العميم وفضله العظيم اذ ان هذا القدر يكفي لانقاذ ايماننا وسلامته • فلا بد ان نرضى بمقدار فهمنا ونزيده بتكرار المطالعة •

هذا وان أحد اسرار عدم الوصول الى مسألة الحشر عقلاً هو : ان الحشر الاعظم هو من تجلي (الاسم الاعظم) ، لذا فان رؤية وإراءة الافعال العظيمة الصادرة من تجلي الاسم الاعظم ، ومن تجلي المرتبة العظمى لكل اسم من الاسماء الحسنى هي التي تجعل اثبات الحشر الاعظم سهلاً هيناً وقاطعاً كاثبات الربيع وثبوته ، والذي يؤدي الى الاذعان القطعي والايمان الحقيقي •

وهكذا توضّح (الحشر) ووُضّح في هذه (الكلمة العاشرة) بفيض القرآن الكريم • وإلا لو اعتمد العقل على مقاييسه الكليّة لظلّ عاجزاً مضطراً الى التقليد •

ذيل

رسالة

الحشر

القطعة الأولى

من اللاحقة والتذليل المهم للكلمة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم * فسبحان الله حين تمشون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وغيبا وظهرون *
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد
موتها وكذلك تخرجون * ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا
اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن
آياته خلق السموات والارض واختلاف السنين والوانكم ان في
ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم
من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم
البرق خونا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد
موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته ان تقلب السماء
والارض بامرهم ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون * وله من
في السموات والارض كل له قانتون * وهو الذي يبدؤا الخلق ثم
يعيده وهو اهلون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم *

سورة الروم (١٧ - ٢٧)

سنبيتن في هذا (الشعاع التاسع) برهاناً قوياً ، وحجة كبرى ، لما تبينه هذه الآيات الكريمة من محور الايمان وقطبه ، وهو الحشر . ومن البراهين السامية المقدسة الدالة عليه .

وانه لعناية ربانية لطيفة ان كتب (سعيد القديم) (١) قبل ثلاثين سنة في ختام مؤلفه (المحاكمات) (٢) الذي كتبه مقدمة لتفسير (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) ما يأتي ، [انقصد الثاني : سوف يفسر آيتين تبينان الحشر وتشيران اليه] . ولكنه ابتداء به : [نحو (٣) بسم الله الرحمن الرحيم] . وتوقف ، ولم تتج له الكتابة .

فألف شكر وشكر للخالق الكريم - وبعدد دلائل الحشر وأماراته - أن وفقني لبيان ذلك التفسير بعد ثلاثين سنة . فأنعم سبحانه وتعالى بتفسير الآية الاولى : (فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) . وذلك بعد نحو عشر سنوات ، فأصبحت (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة والعشرين) (٤) وهما حجتان ساطعتان قويتان أخرستا المنكرين الجاحدين وبعد حوالي عشر سنوات من بيان ذلك الحصن الحصين للحشر ، أقاض عليّ سبحانه وتعالى وانعم بتفسير الآيات المتصدرة لهذا الشعاع ، فكانت هذه الرسالة . فهذا (الشعاع التاسع) (٥) عبارة عن تسعة مقامات سامية مما أشارت اليها الآيات الكريمة مع مقدمة مهمة .

(١) هو اللقب الذي يطلقه الاستاذ النورسي على نفسه قبل قيامه بتأليف رسائل النور . (المترجم)

(٢) أي المحاكمات العقلية . (المترجم)

(٣) نه خو : كلمة كردية باللهجة الكرمانجية الشمالية ، تعنى : فاذن . (المترجم)

(٤) رسالة (الملائكة وبقاء الروح والحياة الآخرة) . (المترجم)

(٥) أي الرسالة التاسعة من كتاب « شعاعلر » (الشعاعات) الذي يضم (١٥) شعاعاً . (المترجم)

المقدّمة

[هذه المقدمة نقطتان :

سنذكر أولا وباختصار نتيجة واحدة
جامعة من بين النتائج الحياتية والفوائد الروحية
لعقيدة الحشر - مبين مدى ضرورة هذه
العقيدة للحياة الانسانية ولاسيما الاجتماعية •
ونورد كذلك حجة كلية واحدة - من بين
الحجج العديدة لعقيدة الايمان بالحشر - مبين
ايضا مدى بدايتها ووضوحها حيث لا يلاخلها
ريب ولا شبهة] •

النقطة الأولى

« ضرورة عقيدة الآخرة لحياة الانسان الفردية والاجتماعية »

سنشير الى أربعة أدلة على سبيل المثال - وكنموذج قياسي - من بين مئات الأدلة على : أن عقيدة الآخرة هي أس الاساس لحياة الانسان الاجتماعية والفردية ، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته .

الدليل الأول :

ان الاطفال الذين يمثلون نصف البشرية ، لا يمكنهم ان يتحملوا تلك الحالات التي تبدو مؤلمة ومفجعة امامهم من حالات الموت والوفاة إلا بما يجعلونه في انفسهم وكيانهم الرقيق اللطيف من القوة المعنوية الناشئة من « الايمان بالجنة » . ذلك الايمان الذي يفتح باب الامل المشرق امام طبائعهم الرقيقة التي لا تتمكن من المقاومة والصدود وتبكي لأدنى سبب . فيتمكنون به من العيش بهناء وفرح وسرور . فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه : « ان اخي الصغير - او صديقي الحبيب - الذي توفي ، اصبح الآن طيراً من طيور الجنة ، فهو اذن يسرح من الجنة حيث يشاء ، ويعيش افضل وأهنا منا » . وإلا فلولا هذا الايمان بالجنة لهدم الموت الذي يصيب أطفالاً أمثله - وكذلك الكبار - تلك القوة المعنوية لهؤلاء الذين لا حيلة لهم ولا قوة ، ولحطم نفسياتهم، ودمر حياتهم ونفصها ، فتبكي عندئذ جميع جوارحهم ولطائفهم من روح وقلب وعقل مع بكاء عيونهم . فاما أن تموت احاسيسهم وتقلظ مشاعرهم أو يصبحوا كالحوانات الضالة التعسة .

الدليل الثاني :

إن الشيوخ الذين هم نصف البشرية ، انما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر بـ «الايان بالآخرة» . ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم ، ولا من انفلاق باب دنياهم الحنوء الجميلة في وجوههم إلا في ذلك الايمان . فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال واصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطبائعهم ، انما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت والزوال ، ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة . والا فلولا هذا الايمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والامهات - الذين هم اجلر بالشفقة والرأفة والذين هم في أشد الحاجة الى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة - ضراماً روحياً واضطراباً نفسياً وقلقاً قلبياً ، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ، ولتحولت سجنًا مظلمًا رهيبًا ، ولانقلبت الحياة الى عذاب أليم قاسٍ .

الدليل الثالث :

ان الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئي فورة مشاعرهم ، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود الى الظلم والتخريب ، ولا يمنع طيش انفسهم ونزواتها ، ولا يؤمن السير الافضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا خوف من نار جهنم . فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الشملون - بأهوائهم - الدنيا الى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز ، حيث «الحكم للغالب» ، ولحولوا الحياة الانسانية السامية الى حياة حيوانية سافلة .

الدليل الرابع :

ان الحياة العائلية هي مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولها ، وهي

جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الامين وان بيت كل فرد هو عالمه
ودنياه الخاصة . فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل
الجاد والوفاء الخالص بين الجميع ، والرافة الصادقة والرحمة التي تصل
الى حد التضحية والايشار . ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة
المتبادلة الوفية إلا بالايان بوجود علاقات صداقة أبدية ، ورفقة دائمة ،
ومعية سرمدية ، في زمن لا نهاية له ، وتحت ظل حياة لا حدود لها ، تربطها
علاقات أبوة محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقية ، وصداقة وفيّة نزيهة،
حيث يحدث الزوج نفسه: « ان زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتني في عالم
الابد والحياة الخالدة ، فلا ضير إن اصبحت الآن دمية أو عجوزاً ،
اذ ان لها جمالاً أبدياً سيأتي ، لذا فأنا مستعد لتقديم اقصى ما يستوجبه
الوفاء والرافة ، وأضحى بكل ما يتطلبه تلك الصداقة الدائمة ، ...
وهكذا يمكن أن يكن هذا الرجل حياً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنه
للحور العين . والا فان صحبة وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين
ومن ثم يعقبها فراق أبدي ومفارقة دائمة لحي صحبة وصداقة ظاهرية
لا أساس لها ولا سند . ولا يمكنها ان تعطي الا رحمة مجازية ، واحتراماً
مصطنعاً ، وعطفاً حيواني المشاعر ، فضلاً عن تدخل المصالح والشهوات
النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتقلب عندئذ تلك
الجنة الدنيوية الى جحيم لا تطاق .

وهكذا فان نتيجة واحدة للايمان بالشر - من بين مئات النتائج -
التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للانسان ، وتعود اليها ، والتي لها مئات
الاجه والفوائد ، اذا ما قيسست على تلك الدلائل الاربعة المذكورة آنفاً ،
يُدرَك أن : وقوع حقيقة الشر وتحققها قطعي كقطعية ثبوت حقيقة الانسان
السامية وحاجاته الكلية . بل انها اظهر دلالة من حاجة الملة الى الاطعمة

والاغلبية ، وأوضح شهادة منها • ويمكن ان يقدر مدى تحققها تحققاً أعمق
واكثر اذا ما سلبت الانسانية من هذه الحقيقة - الحشر - حيث تصبح
ماهيته التي هي سامية ومهمة وحيوية بمثابة جيفة نتنة وماوى الميكروبات
والجراثيم •

فليصغ السمع علماء الاجتماع والسياسة والاخلاق من المعنيين بشؤون
الانسان واخلاقه واجتماعه ، وليأتوا وبيّنوا بماذا سيملاون هذا الفراغ ؟
وبماذا سيداوون ويضمّدون هذه الجروح الفائرة العميقة ؟!

النقطة الثانية

« شهادة سائر الأركان الايمانية على الايمان
بالآخرة »

تبين هذه النقطة بإيجاز شديد برهاناً واحداً - من بين البراهين التي
لا حصر لها - على حقيقة الحشر وهو ناشئ من خلاصة شهادة سائر
الأركان الايمانية . وعلى النحو الآتي :

ان جميع المعجزات الدالة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم مع جميع دلائل نبوته ، وجميع البراهين الدالة على صدقه ، تشهد
بمجموعها معاً ، على حقيقة الحشر ، وتدل عليها ، وتثبتها ، لأن دعوته
صلى الله عليه وسلم طوال حياته المباركة قد انصبّت - بعد التوحيد -
على الحشر . وأن جميع معجزاته وحججه التي تدل على صدق الانبياء
عليهم السلام وتحمّل الآخرين على تصديقهم - تشهد على الحقيقة نفسها ،
وهي الحشر . وكذا شهادة « الكتب المنزلة » التي رقت الشهادة الصادرة
من « الرسل الكرام » الى درجة البداهة ووضاحتها ، تشهدان على الحقيقة
نفسها . وعلى النحو الآتي :

ففي المقدمة القرآن الكريم - ذو البيان المعجز - يشهد بجميع معجزاته
وحججه وحقايقه - التي تثبت أحقيته - على حدوث الحشر ويثبتها ، حيث
ان ثلث القرآن بأكمله ، وأوائل أغلب السور القصار ، آيات عنيفة على
الحشر . أي أن القرآن الكريم ينبيء عن الحقيقة نفسها بآلاف من آياته
الكريمة صراحة أو إشارةً ويثبتها بوضوح ، ويظهرها بجلاء . فمثلاً :-

- « انا الشمس 'كوت' »
- « يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم »
- « اذا زلزلت الارض زلزالها »
- « اذا السماء انفطرت »
- « اذا السماء انشقت »
- « عم يتساءلون »
- « هل اتاك حديث الفاشية »

فثبت القرآن الكريم بهذه الآيات وأمثالها - في مفتتح ما يقارب أربعين سورة - ان الحشر لا ريب فيه ، وأنه حدث في غاية الأهمية في الكون ، وان حدوثه ضروري جداً ولا بد منه ، ويبين بالآيات الأخرى دلائل مختلفة مقنعة على تلك الحقيقة .

فيا ترى ان كتاباً تشر إشارة واحدة لآية من آياته تلك الحقائق العلمية والكونية المعروفة بالعلوم الإسلامية ، فكيف بشهادة آلاف من آياته ودلائله التي تبين الايمان بالحشر كالشمس ساطعة ؟ ألا يكون الجحود بهذا الايمان كإنكار الشمس بل كإنكار الكائنات قاطبة ؟! ألا يكون ذلك باطلاً ومحالاً في مائة محال ؟!

ترى هل يمكن ان يوصم آلاف الوعد والوعيد لكلام سلطان عزيز عظيم بالكذب أو انها بلا حقيقة ، في حين قد يخوض الجيش غمار الحرب لثلاث تكذبات إشارة صادرة من سلطان .

فكيف السلطان المعنوي العظيم الذي دام حكمه وهيمنته ثلاثة عشر قرناً دون انقطاع ، فربى ما لا تعد من الارواح والعقول والقلوب والنفوس ، وزكاتها وأدارها على الحق والحقيقة ، الا تكفي إشارة واحدة منه لاثبات حقيقة الحشر ؟ علماً أن فيه آلاف الصراحة الواضحة المثبتة ! أليس الذي

لا يدرك هذه الحقيقة الواضحة احمق جاهلاً ؟ ألا يكون من العدالة المحضة ان تكون النار مثواه ؟

ثم ان الصحف السماوية والكتب المقدسة جميعها التي حكمت كل منها لفترة من العصور والازمنة ، قد صدقت - بآلاف من الدلائل - دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر - مع ان بيانها لها مختصر وموجز ، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها - تلك الحقيقة القاطعة التي بينها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها ، وهيمن على المستقبل كله ، بينها بجلاء وافاض في ايضاحها .



يندرج هنا نص ما جاء في آخر رسالة (المناجاة) - انسجماً مع البحث - تلك الحجة القاطعة الملخصة للحشر ، والناشئة من شهادة سائر الازكان الايمانية ودلائلها على الايمان باليوم الآخر - ولاسيما الايمان بالرسول والكتب - والتي تبعد الاوهام والشكوك ، حيث جاءت باسلوب موجز ، وعلى صورة مناجاة .

« يا دُبي الرحيم .. لقد أدركتُ بتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمتُ من تدريس القرآن الحكيم : ان الكتب المقدسة جميعها ، وفي مآلئها القرآن الكريم ، والأنبياء عليهم السلام جميعهم ، وفي مقدماتهم الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ، يدلون ويشهدون ويشيرون بالاجماع والاتفاق :

ان تجليات الاسماء الجسنى - ذات الجلال والجمال - الظاهرة آثارها في هذه الدنيا ، وفي العوالم كافة ، ستدوم دواماً أسطع وأبهى في أبد الآباد . وإن تجلياتها - ذات الرحمة - وآلاها المشاهدة نماذجها في هذا

العالم الغاني ، سستمر بأبهى نور وأعظم تلاق ، وستبقى دوماً في دار
السعادة • وإن أولئك المشتاقين الذين يتملّونها - في هذه الحياة الدنيا
القصيرة - بلهفة وشوق سيرا فقومها بالمحبة والود ، ويصحبونها إلى
الابد ، ويظلون معها خالدين •

وإن جميع الانبياء - وهم ذوو الارواح النيرة - وفي مقصدهم الرسول
الاکرم عليه الصلاة والسلام ، وجميع الأولياء - وهم أقطاب ذوي القلوب
المنورة - وجميع الصديقين - وهم منابع العقول النافذة النيرة - •••
كل أولئك يؤمنون إيماناً راسخاً عميقاً بالحشر ويشهدون عليه ، ويبشرون
البشرية بالسعادة الابدية ، وينلدون أهل الضلالة بأن مصيرهم النار ،
وبشرون أهل الهداية بأن عاقبتهم هي الجنة ••• مستندين إلى مئات
المعجزات الباهرة والآيات القاطعة ، وإلى ما ذكرته - يا ربي - مراراً وتكراراً
في الصحف السماوية والكتب المقدسة كلها من آلاف الوعد والوعيد •••
ومعتمدين على عزة جلالك وسلطان ربوبيتك ، وشؤونك الجليلة ،
وصفاتك المقدسة - كالتدرة والرحمة والعناية والحكمة والجلال والجمال -
وبناء على مشاهداتهم وكشفياتهم غير الملوثة التي تنبئ عن آثار الآخرة
ورشحاتها • وبناء على إيمانهم واعتقادهم الجازم الذي هو بدرجة علم
اليقين وعين اليقين •

نيا قدير ويا حكيم ويا رحمن ويا رحيم ويا صادق الوعد الكريم ،
وإذا العزة والعظمة والجلال ويا قهار ذو الجلال • انت مقدس ومنزه ،
وانت متعال عن ان توصيم بالكلب كل أوليانك وكل وعودك وصفاتك
الجليلة وشؤونك المقدسة • فتكذبهم ، أو تحجب ما تقتضيه - قطعاً -
سلطان ربوبيتك بعدم استجابتك لتلك الادعية الصادرة من عبادك
الصالحين الذين احببتهم وأحبوك ، وحببوا انفسهم اليك بالإيمان

والتصديق والطاعة ، فأنت منزّه ومتعال مخلق من أن تصدق أهل الضلالة والكفر في انكارهم العشر ، أولئك الذين يتجاوزون على عظمتك وكبريائك بكفرهم وعصيانهم وتكذيبهم لك ولوعودك ، والذين يستخفّون بعزة جلالك وعظمة الوهيتك ورامة ربوبيتك ، فنحن نقس - بلا حد ولا نهاية - عدالتك وجمالك المطلقين ورحمتك الواسعة ونزهاها من هذا الظلم والقبح غير المنتاهي . ونعتقد ونؤمن بكل ما أوتينا من قوة بأن الآلاف من الرسل الكرام ، وبما لا يعد ولا يحصى من الانبياء والاصفياء والأولياء الذين هم المنادون اليك هم شاهدون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين على خزائن رحمتك الاخروية وكنوز احساناتك في عالم البقاء ، وتجليات اسمائك الحسنى التي تنكشف كلياً في دار السعادة . . . ونؤمن ان هذه الشهادة حق وحقيقة ، وان اشاراتهم صدق وواقع ، وان بشاراتهم صادقة وواقعة . . . نهؤلاء جميعاً يؤمنون بأن هذه الحقيقة الكبرى - أي العشر - شعاع عظيم من اسم « الحق » الذي هو مرجع جميع الحقائق وشمسها ، فيرسلون عبادك - باذن منك - ضمن دائرة الحق ، ويعلمونهم بعين الحقيقة .

فيا ربّي ! بحق دروس هؤلاء ، وبجرمة ارشاداتهم ، آتانا إيماناً كاملاً وارزقنا حسن الخاتمة ، لنا ولطلاب النور ، واجعلنا أهلاً لشفاعتهم . . آمين»



وهكذا فكما ان الدلائل والحجج التي تثبت صدق القرآن الكريم بل جميع الكتب السماوية ، وان المعجزات والبراهين التي تثبت نبوة حبيب الله بل الانبياء جميعهم ، تثبت بدورها أهم ما يدعون اليه ، وهو تحقق الآخرة وتدل عليها . كذلك فان اغلب الادلة والحجج الشاهدة على وجوب واجب الوجود ووحدته سبحانه ، هي بدورها شاهدة على دار السعادة وعالم البقاء التي هي مدار الربوبية والالوهية وأعظم مظهر لهما ، وهي

شاهدة على وجود تلك الدار وانفتاح أبوابها - كما سيُبين في انتقادات الآتية - لأن وجوده سبحانه وتعالى ، وصفاته الجليلة ، وأغلب أسمائه :لحسني ، وشؤونه الحكيمة ، وأوصافه المقدسة - أمثال الربوبية والالوهية والرحمة والعناية والحكمة والعدالة - تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها ، بل تستلزم وجود عالم البقاء - بدرجة الوجوب - وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب - بدرجة الضرورة - أيضاً •

نعم ، ما دام الله موجوداً ، وهو واحدٌ أحدٌ ، وأزلي أبدي ، فلا بد ان محوّر سلطان الوهيته - وهو الآخرة - موجود أيضاً ••• وما دامت الربوبية المطلقة تتجلى في هذه الكائنات - ولاسيما في الاحياء - وهي ذات جلال وعظمة وحكمة ورأفة ظاهرة واضحة ، فلا بد أن هناك سعادة أبدية تنفي عن الربوبية المطلقة أي ظن بكونها تترك الخلق هملاً دون ثواب ، وتبريء الحكمة من العتب ، وتصون الرأفة من الغدر أي أن تلك الدار موجودة قطعاً ولا بد من الدخول فيها •

وما دامت هذه الانواع من الانعام والاحسان واللطف والكرم والعناية والرحمة مشاهدة وظاهرة أمام العقول - التي لم تنطفئ - وامام القلوب - التي لم تمت - وتدلنا على وجود رب رحمن رحيم وراء الحجاب ، فلا بد من حياة باقية خالدة ، لتنفذ الانعامَ من الاستهزاء - أي يأخذ الانعام مدهاء - وتصون الاحسان من الخداع - ليستوفي حقيقته - وتنقد العناية من العتب - لتستكمل تحققها - وتنجي الرحمة من النقمة - فيتم وجوها - وتبريء اللطف والكرم من الاهانة - ليفيضا على العباد - • نعم ، ان الذي يجعل الاحسان احساناً حقاً ، والنعمة نعمة حقاً ، هو وجود حياة باقية خالدة في عالم البقاء والخلود ••• نعم ، لابد ان يتحقق هذا •

وما دام قلم القدرة الذي يكتب في فصل الربيع - وفي صحيفة ضيقة

صغيرة - مائة ألف كتاب ، كتابة متداخلة دون خطأ ولا نصب ولا تعب ، كما هو واضح جلي* امام اعيننا • وإن صاحب ذلك القلم قد تمهّد ووعد مائة ألف مرة ان : « لاكتبن كتاباً اسهل من كتاب الربيع المكتوب أمامكم ولاكتبنه كتابة خالدة ، في مكان اوسع وارحب وأجمل من هذا المكان الضيق المختلط المتداخل ... فهو كتاب لا يفنى ابداً ، ولأجعلكم تقرأونه بحيرة واعجاب ! » • وانه سبحانه يذكر ذلك الكتاب في جميع أوامره ، ثان اصول ذلك الكتاب اذن قد كتبت بلا ريب ، وستكتب حواشيه وهوامشه بالحشر والنشور ، وستلون فيه صحائف أعمال الجميع •

وما دامت هذه الارض قد اصبحت ذات اهمية عظمى من حيث احتوائها على كثرة المخلوقات ، ومئات الالوف من انواع ذوي الحياة والأرواح المختلفة المتبدلة ، حتى صارت قلب الكون ، وخلصته ، ومركزه ، وزبدته ، ونتيجته ، وسبب خلقه • فذكرت دائماً صنواً للسموات كما في « رب السموات والارض » في جميع الأوامر السماوية ...

وما دام ابن آدم يحكم في شتى جهات هذه الارض - التي لها هذه الماهيات والخواص - ويتصرف في اغلب مخلوقاتنا مسخراً اكثر الاحياء له ، جاعلاً اكثر المصنوعات تحوم حوله وفق مقاييسه وهواه ، وحسب حاجاته الفطرية ، وينظمها ، ويعرضها ، ويرزئها ، وينسّق الأنواع العجيبة منها في كل مكان بحيث لا يلفت نظر الانس والجن فحسب ، بل يلفت نظر أهل السموات والكون قاطبة ، بل حتى نظر مالك الكون ، فنال الاعجاب والتقدير والاستحسان ، وأصبحت له - من هذه الجهة - أهمية عظيمة ، وقيمة عالية ، فإظهر - بما أوتي من علم ومهارة - انه هو المتصود من حكمة خلق الكائنات ، وأنه هو نتيجتها العظمى ، وثمرتها النفيسة ، ولا غرو فهو خليفة الارض ... ولكن لكونه يعرض الصنائع البديعة

للخالق سبحانه ، وينظمها بشكل جميل جذاب ، في هذه الدنيا ، فقد
أَجَلَّ عذاب عصيانه وكفره ، وسَمَحَ له العيش في الدنيا وأَمَهَلَ ليقوم
بهذه المهمة بنجاح .

وما دام لابن آدم - الذي له هذه الماهية والمزايا خلقة وطبعاً ، وله
حاجات لا تُعَدُّ مع ضعفه الشديد ، وآلام لا تُعَدُّ مع عجزه الكامل - ربّ
قدير ، له من القدرة والرافة المطلقة ما يجعل هذه الأرض الهائلة العظيمة
مخزناً عظيماً لأنواع المعادن التي يحتاجها الانسان ، ومستودعاً لأنواع
الاطعمة الضرورية له ، وحانوتاً للأموال المختلفة التي يرغبها ، وانه سبحانه
ينظر اليه بعين العناية والرافة ويربيه ويزوده بما يريد . . .

وما دام الرب سبحانه - كما في هذه الحقيقة - يحبّ الانسان ،
ويحبّ نفسه اليه ، وهو باقٍ ، وله عوالم باقية ، ويُجري الامور وفق
عدالته ، ويعمل كل شيء وفق حكمته ، وان عظمة سلطان هذا الخالق
الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة ، ولا يكفيهما عمر
الانسان القصير جداً ، ولا عمر هذه الأرض المؤقتة الفانية . حيث يظل
الانسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم والعصيان ، وما
يقترفه من انكار وكفر وعصيان - تجاه مولاه الذي انعم عليه ورباه برأفة
كاملة وشفقة تامة - مما ينافي النظام المنسّق للكون ، ويخالف العدالة
والموازنة الكاملة التي فيها ، ويخالف جماله وحُسْنه ، اذ يقضي الظالم
القاسي حياته براحة ، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش .
فلا شك ان ماهية تلك العدالة المطلقة - التي يشاهد آثارها في الكائنات -
لا تقبل أبداً ، ولا ترضى مطلقاً ، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين
البائسين الذين يتساوون معاً امام الموت .

وما دام مالك الملك قد اختار الأرض من الكون ، واختار الانسان من

الارض ، ووهب له مكانة سامية ، وأولاه الاهتمام والعناية ، واختار الانبياء والأولياء والأصفياء من بين الناس ، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية ، وحبّوا انفسهم اليه بالايمان والتسليم، وجعلهم أولياء المحبوبين المخاطبين له ، واکرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال وأدب أعداءهم بالصفعات السماوية . واصطفى من بين هؤلاء المحبوبين إمامهم ورمزهم فخرهم واعتزازهم ، ألا وهو محمد عليه الصلاة والسلام . فنور بنوره نصف الكرة الأرضية - ذات الأهمية - وخمس البشرية - ذوي الأهمية - طوال قرون عدة ، حتى كأن الكائنات قد خلقت لأجله ، لبروز غاياتها جميعاً به ، وظهورها بالدين الذي بُعث به ، وانجلائها بالقرآن الذي أنزل عليه . فبينما يستحق أن يكافأ ثمن خدماته الجليلة غير المحدودة بعمر مديد غير محدود وهو أهل له ، إلا أنه قضى عمراً قصيراً وهو « ٦٣ » سنة في مجاهدة ونصب وتعب ! فهل يمكن ، وهل يعقل مطلقاً ، وهل هناك أى احتمال ألا يُبعث هو وأمثاله وأحباؤه معاً ؟! وألا يكون الآن حياً بروحه ؟! وان يفنى نهائياً ويصير الى العدم ؟ كلا ٠٠٠ ثم كلا ٠٠٠ وحاشاه ألف ألف مرة .

نعم ، ان الكون وجميع حقائق العالم يدعو الى بعثه ويريد ويطلب من صاحب الكون حياته ٠٠٠ ولقد بيّنت رسالة « الآية الكبرى » وهي الشعاع السابع واثبتت بثلاثة وثلاثين اجماعاً عظيماً - كل منه يعتبر كالجبل الأشم في قوة حجّته - بأن هذا الكون لم يصدر إلا من يد واحد أحد ، وليس ملكاً إلا لواحد أحد . فإظهرت التوحيد - بتلك البراهين والمراتب بداهة - انه محور الكمال الآلهي وقطبه . وبيّنت أنه بالوحدة والاحدية يتحول جميع الكون بمثابة جنود مستنفرين لذلك الواحد الاحد ، وموظفين مسخّرين له . وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته ،

وتصان من السقوط • وتسود عدالته المطلقة ، وتنجو من الظلم • وتُنقِزُه
حكمته العامة ، وتبرا من العبث والسفاهة ، وتأخذ رحمته الواسعة مداها ،
وتُنقِذ من التعذيب المشين • وتبليو عزته وقدرته المطلقتان ، وتُنقِذَان من
العجز الذليل • وتتقدّس كل صفة من صفاته سبحانه وتجلّى منزّهة
جليلة •

فلا بد - ولا ريب مطلقاً - أن القيامة ستقوم ، وإن الحشر والنشور
سيحدث ، وإن أبواب دار الثواب والعقاب ستُفتح ، بمقتضى ما في حقائق
هذه الفقرات الثمانية المذكورة المبتدئة بـ « ما دام » التي هي مسألة دقيقة
ونكتة ذات مغزى لطيف من بين مئات النكات الدقيقة للإيمان بالله وذلك :
كي تتحقّق أهمية الأرض ومركزيتها ، وأهمية الإنسانية ومكانتها ، ولكي
تقرر العدالة والحكمة والرحمة والسلطة لخالق الأرض والإنسان وربهما •
ولكي ينجو الأولياء والاجباء الحقيقيون والمشتاقون إلى الرب الباقي من
الفناء والاعدام الأبدي • ولكي يرى أعظمهم وأحبهم وأعزهم ثواب
عمله ، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضى
دائمين • ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتقصير ،
وتتنزّه قدرته من العجز ، وتبرا حكمته من السفاهة ، وتعالى عدالته عن
الظلم •

والخلاصة : ما دام الله جل جلاله موجوداً فإن الآخرة لا ريب فيها
مطلقة •

★ ★ ★

وكما تثبت الأركان الإيمانية الثلاثة - المذكورة آنفاً - الحشر بجميع
دلائلها وتشهد عليه • كذلك يستلزم الركنان الإيمانيان « وبملكته ،
وبالقدر خيره وشره من الله تعالى » أيضاً الحشر ، ويشهدان شهادة قوية

على العالم الباقي ويدلان عليه ، على النحو الآتي :

ان جميع الدلائل والمشاهدات والمكالمات الدالة على وجود الملائكة ووظائف عبوديتهم ، هي بدورها دلائل على : وجود عالم الارواح وعالم الغيب ، وعالم البقاء وعالم الآخرة ، ودار السعادة والجنة والنار اللتين ستعمران بالجن والانس ، لان الملائكة يمكنهم - باذن الهي - ان يشاهدوا هذه العوالم ويدخلونها ، لذا فالملائكة المقربون يخبرون بالاتفاق - كجبريل عليه السلام الذي قابل البشر- بوجود تلك العوالم المذكورة وتجوالهم فيها . فكما اننا نعلم بديهة وجود قارة أمريكا - التي لم نرها - من كلام القادمين منها ، كذلك يكون الايمان بديهة بما اخبرت به الملائكة - وهو بقوة مائة تراتر - عن وجود عالم البقاء ودار الآخرة والجنة والنار . وهكذا نؤمن ونصدق .

★ ★ ★

وكذلك الدلائل التي تثبت « الايمان بالقدر » - كما جاءت في رسالة القدر « الكلمة السادسة والعشرين » - وهي بدورها دلائل على الحشر ، ونشر الصحف ، وموازنة الاعمال عند الميزان الاكبر ، ذلك لأن ما نراه أمام أعيننا من تدوين مقدرات كل شيء على ألواح النظام والميزان ، وكتابة الأحداث الحياتية ووقائعها لكل ذي حياة في قواه الحافظة ، وفي حبوته ونواه ، وفي سائر الألواح المثالية . وتثبتت دفاتر الاعمال لكل ذي روح - ولاسيما الانسان - واقرارها في ألواح محفوظة ٠٠٠ كل هذا القدر من القدر ذي الاحاطة التامة ، ومن التقدير ذي الحكمة ، ومن التدوين ذي الدقة المتناهية ، ومن الكتابة ذات الحفظ والامانة ، لا يمكن أن يكون الا لأجل محكمة كبرى ، ولنيل ثواب وعقاب دائمين . والا فلا يبقى مغزى إطلاقاً ، ولا فائدة أبداً ، لذلك التدوين المحيط ، والكتابة التي تسجل

وتحفظ أدق الامور • فيقع اذن ما هو خلاف الحكمة والحقيقة • أي إن لم يحدث الحشر فان جميع المعاني الحقّة لكتاب الكون التي كتبت بقلم القَدَر سوف تفسد وتفسد ! وهذا لا يمكن ان يكون مطلقاً ، وليس له احتمال قط ، بل هو محال في محال • كانكار هذه الكائنات ، بل هو هذيان ليس إلا •

نحصل مما تقدم : ان جميع دلائل اركان الايمان الخمسة هي بدورها دلائل على الحشر ووجوده ، وعلى النشور وحدوئه ، وعلى وجود الدار الآخرة وانفتاح ابوابها • بل تستدعيه وتشهد عليه ، لذا فانه من الوفاق الكامل والانسجام التام ان يبحث ثلث القرآن الكريم – المعجز البيان – بكامله عن الحشر لما له من الاسس والبراهين التي لا تتزعزع – ويجعله اساساً وركيزة لجميع حقائقه التي يرفعها على ذلك الحجر الاساس •

(انتهت المقدمة)

القطعة الثانية

من الذيل

« الحياة تثبت اركان الايمان الستة »

[المقام الاول عبارة عن تسعة مقامات
لطبقات البراهين التسع التي تدور حول الحشر
والتي أشارت اليها باعجاز الآية الكريمة
المصدرية] :-

« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وله الحمد في السموات
والارض وعشياً وحين تظهرون • يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي ويدجي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون • » (الروم/ ١٧-١٩) •
سينبين - ان شاء الله - ويوضح ما اظهرته هذه الآيات الكريمة من
البرهان الباهر والحجة القاطعة للحشر(١) •

ولقد بينت في الخاصة الثامنة والعشرين من (الحياة) (٢) ان الحياة
تثبت اركان الايمان الستة، وتنظر اليها وتتوجه نحوها، وتشير الى تحقيقها •

(١) لم يكتب هذا المقام بعد • وحيث ان مسألة (الحياة) وقضيتها لها
علاقة مع الحشر ، فقد أدرجت هنا وفي ختام هذه المسألة هناك
إشارتها الى الركن الايماني (القَدَر) ، فهي مسألة دقيقة جداً
وعميقة •

(٢) وضح الاستاذ النورسي هذه الخواص للحياة عند شرحه اسم الله
الأعظم ، ومنه « الحي » ، وذلك في النكتة الخامسة من اللمعة
الثلاثين من كتاب اللغات • (المترجم)

نعم ! فما دامت (الحياة) هي حكمة خلق الكائنات ، وأهم نتيجتها وجوهرها ، فلا تنحصر تلك الحقيقة السامية في هذه الحياة الدنيا الفانية القصيرة الناقصة المؤلمة ، بل أن الخواص التسع والعشرين للحياة وعظمها ماهيتها ، وما يفهم من غاية شجرتها ونتيجتها ، وثمرتها الجديرة بعظم تلك الشجرة ، ما هي إلا الحياة الأبدية والحياة الآخرة والحياة الحية بحجرها وترايبها وشجرها في دار السعادة الخالدة . والا يلزم ان تظن شجرة الحياة المجهّزة بهذه الأجهزة الغزيرة المتنوعة في ذوي الشعور - ولاسيما الانسان - دون ثمر ولا فائدة ، ولا حقيقة . ولظل الانسان تعساً وشقيّاً وذليلاً وأحط من العصفور بعشرين درجة - بالنسبة لسعادة الحياة - مع أنه أسمى مخلوق ، وأكرم ذوي الحياة وأرفع من العصفور بعشرين درجة .

بل يصبح العقل الذي هو أئمن نعمة بلاء ومصيبة على الانسان بتفكره في أحزان الزمان الغابر ومخاوف المستقبل فيعذب قلبه الانسان دائماً معكراً صغراً لذة واحدة بتسعة آلاف ! . ولاشك أن هذا باطل مائة في المائة .

فهذه الحياة الدنيا اذن تثبت ركن (الايمان بالآخرة) اثباتاً قاطعاً بما تظهر لنا في كل ربيع اكثر من ثلاثمائة الف نموذج من نماذج الحشر .

فيا ترى هل يمكن لربّ قدير ، يهيء ما يلزم حياتك من الحاجات المتعلقة بها جميعاً ويوفر لك اجهزتها كلها سواء في جسمك أو في حديقتك ، أو في بلدك ، ويرسله في وقته المناسب بحكمة وعناية ورحمة . حتى أنه يعلم رغبة معدتك فيما يكفل لك العيش والبقاء ، ويسمع ما تهتف به من الدعاء الخاص الجزئي للرزق مبدياً قبوله لذلك الدعاء بما بثّ من الاطعمة اللذيذة غير المحدودة ليطمئن تلك المعلقة ! فهل يمكن لهذا المتصرف القدير ان لا يعرفك ؟ ولا يراك ؟ ولا يهيء الاسباب الضرورية لأعظم غاية للانسان

وهي الحياة الأبدية ؟؟ ولا يستجيب لأعظم دعاء وأهمه وأعمه ، وهو دعاء البقاء والخلود ؟ ولا يقبله بعلم انشائه الحياة الآخرة وإيجاد الجنة ؟ ولا يسمع دعاء هذا الانسان - وهو أسمى مخلوق في الكون بل هو سلطان الارض ونتيجتها - ذلك الدعاء العام القوي الصادر من الاعماق ، والذي يهز العرش والفرش ! فهل يمكن ان لا يهتم به اهتمامه بدعاء المعدة الصغيرة ولا يرضي هذا الانسان ؟ ويعرض حكيمته الكاملة ورحمته المطلقة للانكار ؟؟ كلا ٠٠ ثم كلا ألف ألف مرة كلا ٠

وهل يعقل ان يسمع اخفت صوت لأدنى جزء من الحياة فيسنع لشكواه ويسعفه ، ويحلم عليه ويربيه بعناية كاملة ورعاية تامة وباهتمام بالغ مسخراً له أكبر مخلوقاته في الكون ، ومن ثم لا يسمع صوتاً كهدير السماء لأعظم حياة وأسمها والطفها وأدومها ؟؟ وهل يعقل : ألا يهتم بدعائه المهم جداً - وهو دعاء البقاء - ألا ينظر الى تضرعه ورجائه وتوسله ؟؟ ويكون كمن يجهز - بعناية كاملة - جندياً واحداً بالعتاد ، ولا يرعى الجيش الجرار الموالي له !! وكمن يرى الذرة ولا يرى الشمس ! أو كمن يسمع طنين البعوضة ولا يسمع رعود السماء ! حاش الله هائة ألف مرة حاش الله ٠

وهل يقبل العقل - بوجه من الاوجه - ان القدير الحكيم ذا الرحمة الواسعة وذا المحبة الفائقة وذا الرافة الشاملة والذي يحب صنعته كثيراً ، ويحب نفسه بها الى مخلوقاته وهو أشد حباً لمن يحبونه ، فهل يعقل أن يُفني حياة مَنْ هو أكثر حباً له ، وهو المحبوب ، وأهل للحب ، والذي يعبد خالقه فطرة ؟ ويُفني كذلك لب الحياة وجوهرها وهو الروح ، بالموت الأبدي والاعدام النهائي !! ويسبب جفوة بينه وبين محبيه ويؤلمهم أشد الايلام ! فيجعل سر رحمته ونور محبته معرضاً للانكار ! حاش الله ألف

مرة حاشى الله ٠٠٠ فالجمال المطلق الذي زين بتجليه هذا الكون وجمّله ،
والرحمة المطلقة التي أبهجت المخلوقات قاطبة وزيّنتها ، لا بد انها منزّهتان
ومقدسّتان بلا نهاية ولا حد عن هذه القساوة وعن هذا القبح المطلق
والظلم المطلق .

النتيجة :

ما دامت في الدنيا حياة ، فلا بد أن الذين يفهمون سر الحياة من البشر ،
ولا يسيئون استعمال حياتهم ، يكونون أهلاً لحياة باقية ، في دار باقية وفي
جنة باقية ٠٠٠ آمنا .

* * *

ثم ، ان تلالؤ المواد اللماعة على سطح الارض ، وتلمع الفقاعات
والحباب والزبد على سطح البحر ، ومن ثم انطفاء ذلك التلالؤ والبريق
بزوالها ولمعان الفقاعات التي تعقبها - كأنها مرايا لشُمُيسات خيالية -
يظهر لنا بدهاء ان تلك اللمعات ما هي إلا تجلي انعكاس شمس واحدة
عالية . وتذكر بمختلف اللسنة وجود الشمس ، وتشير اليها بأصابع من
نور ٠٠٠ وكذلك الامر في تلالؤ ذوي الحياة على سطح الارض ، وفي البحر ،
بالقدرة الالهية وبتجلّى اسم (المحيي) للحي القيوم جلّ جلاله ، واختفائها
وراء ستار الغيب لفسح المجال للذي يخلقها - بعد أن ردّدت « يا حي » -
ما هي إلا شهادات واشارات للحياة السرمدية ولوجوب وجود الحي القيوم
سبحانه وتعالى :

وكذا ، فان جميع الدلائل التي تشهد على العلم الالهي الذي تشاهده
آثاره من تنظيم الموجودات ، وجميع البراهين التي تثبت القدرة المتصرفة في
الكون ، وجميع الحجج التي تثبت الارادة والمشيئة المهيمنة على ادارة الكون
وتنظيمه ، وجميع العلامات والمعجزات التي تثبت الرسالات التي هي مدار

الكلام الرباني والوحي الالهي ٠٠٠ جميع هذه الدلائل التي تشهد وتدلّ على الصفات الالهية السبع الجليلة ، تدلّ - وتشهد أيضاً - بالاتفاق على حياة (الحي القيوم) سبحانه ، لأنه : لو وجدت الرؤية في شيء فلا بد أن له حياة أيضاً ، ولو كان له سمع فذلك علامة الحياة ، ولو وجد الكلام فهو اشارة على وجود الحياة ، ولو كان هناك الاختيار والارادة فتلك مظاهر الحياة ، فان جميع الدلائل للصفات الجليلة التي تشاهد آثارها ويعلم بداهة وجودها الحقيقي ، أمثال القدرة المطلقة ، والارادة الشاملة ، والعلم المحيط ، تدل على حياة (الحي القيوم) ووجوب وجوده ، وتشهد على حياته السرمدية التي نورت - بشعاع منها - جميع الكون وأحيّت - بتجلر منها - الدار الآخرة كلها بذراتها معاً ٠٠

* * *

والحياة كذلك تنظر وتدل على الركن الایمانی (الايمان بالملائكة)
وتثبته رمزاً ٠ لان :

ما دامت الحياة هي أهم نتيجة للكون ، وان ذوي الحياة - لنفاساتهم - هم اكثر انتشاراً وتكاثراً ، وهم الذين يتتابعون الى دار ضيافة الارض قافلة اثر قافلة ، فتعمر بهم وتبتهج ، وما دامت الكرة الارضية هي محط هذا السيل من ذوي الحياة ، فتملأ وتخلو بحكمة التجديد والتكاثر باستمرار ٠ ويخلق في أحسن الاشياء والعفونات ذوو حياة بغزارة ، حتى اصبحت الكرة الارضية معرضاً عاماً للاحياء ٠ وما دام يخلق بكثرة هائلة على الأرض أصفى خلاصة لترشح الحياة وهو الشعور والعقل والروح اللطيفة ذات الجوهر الثابت ، فكان الأرض تحيا وتتجمل بالحياة والعقل والشعور والارواح ٠ فلا يمكن ان تكون الاجرام السماوية التي هي اكثر لطافة واكثر نوراً وأعظم أهمية من الأرض جامدة ودون حياة وبلا شعور ٠

فالذين سيعمرون السماوات اذن يعمرونها ويهبجون الشمس والنجوم ، ويهبون لها الحيوية ، ويمثلون نتيجة خلق السماوات وثمرتها ، والذين سيتشرفون بالخطابات السبحانية ، هم ذوو الشعور وذوو الحياة من سكان السماوات وأهلها المتلائمين معها حيث يوجدون هناك بسر الحياة ، وهم الملائكة .

* * *

وكذلك ينظر سر الحياة وماهيتها ويتوجه الى « الايمان بالرسل » ويثبت رمزاً • نعم ! فما دام الكون قد خلق لأجل الحياة وان الحياة هي اعظم تجل واكمل نقش وأجمل صنعة للحي القيوم جلّ جلاله ، وما دامت حياته السرمدية الخالدة تظهر وتكشف عن نفسها بارسال الرسل وانزال الكتب ، إذ لو لم تكن هناك « رسل » ولا « كتب » لما عرفت تلك الحياة الازلية ، فكما ان تكلم الفرد يبين حيويته وحياته كذلك الانبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم ، يبينون ويدلون على ذلك المتكلم الحي الذي يأمر وينهى بكلماته وخطاباته من وراء الغيب المحجوب وراء ستار الكون • فلا بد ان الحياة التي في الكون كما انها تدل - بصورة قاطعة - على (الحي الازلي) سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده ، فشعاعات تلك الحياة الازلية كذلك وتجلياتها تنظر وتتوجه الى مالها ارتباط وعلاقات معها من اركان الايمان مثل (ارسال الرسل) و (انزال الكتب) وتثبتها رمزاً • ولاسيما « الرسالة المحمدية » و « الوحي القرآني » • اذ يمكن القول ، انهما ثابتان قاطعان كقطعية ثبوت تلك الحياة ، حيث انهما بمثابة الروح والعقل والحياة •

نعم ، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون ، والشعور والحس مترشحان من الحياة ، فهما خلاصتها ، والعقل مترشح من الشعور

والحس ، فهو خلاصة الشعور ، والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة ، فهي ذاتها الثابتة المستقلة ، كذلك الحياة المحمدية - المادية والمعنوية - مترشحة من روح الكون ، والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس الكون وشعوره وعقله ، فهي اصفى خلاصته ، بل ان حياة محمد صلى الله عليه وسلم - المادية والمعنوية - بشهادة آثارها حياة لحياة الكون ، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون ونور له . والوحي القرآني - بشهادة حقائقه الحيوية - روح لحياة الكون وعقل لشعوره . . .
أجل . . . أجل . . . أجل .

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات ، واذا ما غاب القرآن ونارق الكون ، لجن جنونه ولفقدت الكرة الأرضية صوابها ، ولزال عقلها ، وظلت دون شعور ، ولاصطدمت بأحدى سيارات الفضاء ، ولقامت القيامة .

★ ★ ★

والحياة - كذلك - تنظر الى الركن الايماني « القدر » وتدلل عليه وتشبهه رمزاً ، اذ : ما دامت الحياة ضياء لعالم الشهادة وقد استولت عليه وأحاطت به ، وهي نتيجة الوجود وغايته ، واوسع مرآة لتجليات خالق الكون ، وأتم فهرس ونموذج للفعالية الربانية حتى كأنها بمثابة نوع من خطتها ومنهجها « اذا جاز التشبيه » ، فلا بد أن سر الحياة يقتضي ان يكون عالم الغيب أيضاً - وهو بمعنى الماضي والمستقبل ، أي المخلوقات الماضية والقابلة - في نظام وانتظام وان يكون معلوماً ومشهوداً ومتعيناً ومتهيأً لامتنال الأوامر التكوينية ، أي كأنه في حياة معنوية ، مثلاًها كمثل تلك البذرة الاصلية للشجرة وأصولها ، والنوى والثمار التي في منتهاها ، التي تتميز بمزايا نوع من الحياة كالشجرة نفسها . بل قد

تحمل تلك البنور قوانين حياتية أدق من قوانين حياة الشجرة •

فكما ان البذور والأصول التي خلفها الخريف الماضي ، وما سيخلفه هذا الربيع - بعد إنباره - من البنور والأصول ، تحمل نور الحياة ، وتسير وفق قوانين حياتية ، مثل ما يحمله هذا الربيع من الحياة ، فكذلك شجرة الكائنات ، وكلُّ غصنٍ منه وكلُّ فرعٍ ، له ماضيه ومستقبله ، وله سلسلة مؤلفة من الاطوار والاضاع ، القابلة والماضية ، ولكلِّ نوعٍ ولكلِّ جزءٍ منه وجودٌ متعدد بأطوار مختلفة في العلم الالهي ، مشكلاً بذلك سلسلة وجودٍ علمي • والوجود العلمي هذا ، الشبيه بالوجود الخارجي هو مظهرٌ لتجلٍ معنوي للحياة العامة ، حيث تؤخذ المقدرات الحياتية من تلك الألواح القدرة الحية ذات المغزى العظيم •

نعم ، ان امتلاء عالم الارواح - الذي هو نوع من عالم الغيب - بالارواح التي هي عين الحياة ، ومادتها ، وجوهرها ، وذواتها ، يستلزم ان يكون الماضي والمستقبل - اللذان هما نوع من عالم الغيب وقسم ثان منه - متجسّية فيهما الحياة • وكذا فان الانتظام التام والتناسق الكامل في الوجود العلمي الالهي لأوضاع ذات معانٍ لطيفة لشيء ما ونتائجها واطوارها الحيوية ليبين ان له اهلية لنوع من الحياة المعنوية •

نعم ، ان مثل هذا التجلي - تجلي الحياة - الذي هو ضياء شمس الحياة الازلية لن ينحصر في عالم الشهادة هذا فقط ، ولا في هذا الزمان الحاضر ، وفي هذا الوجود الخارجي ، بل لابد أن لكل عالم من العوالم مظهراً من مظاهر تجلّي ذلك الضياء حسب قابليته ، فالكونُ اذن - بجميع عوالمه - حيٌّ ومشع مضيء بذلك التجلي ، وإلا لأصبح كل من العوالم - كما تراه عين الضلالة - جنازة هائلة مخيفة تحت هذه الدنيا الموقته الظاهرة ، وعالماً خرباً مظلماً •

وهكذا يفهم وجه من أوجه الايمان بالقضاء والقدر من سر الحياة ويثبت به ويتضح • أي كما تظهر حيوية عالم الشهادة والموجودات الحاضرة بانتظامها وبن نتائجها ، كذلك المخلوقات الماضية والآتية التي تعدّ من عالم الغيب لها وجود معنوي ، ذو حياة معنى ، ولها ثبوت علمي ذو روح بحيث يظهر - باسم المقدرات - اثر تلك الحياة المعنوية بواسطة لوح القضاء والقدر •

القطعة الثالثة

من الذيل

« أمثلة مشهودة عن الحشر »

سؤال يرد بمناسبة مبحث الحشر :

ان ما ورد في القرآن الكريم مراراً (ان كانت إلا صيحة واحدة) ،
(وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) يبين لنا ان الحشر الاعظم سيظهر
فجأة الى الوجود ، في آن واحد بلا زمان . ولكن العقول الضيقة تطلب
أمثلة واقعية مشهودة كي تقبل وتدعن لهذا الحدث الخارق جداً والمسألة
التي لا مثيل لها .

الجواب

ان في الحشر ثلاث مسائل هي : عودة الارواح الى الاجساد ، وإحياء
الاجساد ، وانشاء الاجساد وبنائها .

المسألة الأولى :

وهي مجيء الارواح وعودتها الى اجسادها ومثاله هو : اجتماع الجنود
المنتشرين في فترة الاستراحة والمتفرقين في شتى الجهات على الصوت المدوي
للبنوق العسكري .

نعم ، ان الصور الذي هو بوق اسرافيل عليه السلام ، كما انه ليس
قاصراً عن البوق العسكري ، فان الارواح التي هي في جهة الأبد وعالم
الذرات والتي أجابت بـ « قالوا : بلى » عندما سمعت نداء « ألسنت بربكم ،
المقبل من اعماق الازل ، فان نظامها وطاعتها هذا – بلاشك – يفوق أضعاف
أضعاف ما عند أفراد الجيش المنظم . وقد اثبتت « الكلمة الثلاثون » ببراهين

دامغة انه ليست الارواح وحدها جيش سبحاني فحسبي وانما جميع الذرات
هي جنوده المتاهبون للنفير العام .

المسألة الثانية :

وهي احياء الاجساد . ومثاله هو :

مثلاً يمكن اِنارة مئات الآلاف من المصابيح الكهربائية - ليلة مهرجان
مدينة عظيمة - من مركز واحد ، في لحظة واحدة ، كأنها بلا زمان .
كذلك يمكن اِنارة مئات الملايين من مصابيح الأحياء وبعثها على سطح الارض
من مركز واحد . فما دامت الكهرباء - وهي مخلوقة من مخلوقات الله
سبحانه وتعالى وخادمة إضاءه في دار ضيافته - لها هذه الخصائص والقدرة
على القيام بأعمالها حسب ما تتلقاه من تعليمات وتبليغات ونظام من خالقها ،
فلا بد ان الحشر الاعظم سيحدث كالمح البصر ضمن القوانين المنظمة الالهية
التي يمثلها آلاف الخدم المنوّرين كالكهرباء .

المسألة الثالثة :

التي هي انشاء الاجساد فوراً فمثالها هو :

انشاء جميع الاشجار والاوراق - التي يزيد عددها ألف مرة على
مجموع البشرية - دفعة واحدة في غضون بضعة ايام في الربيع ، وبشكل
كامل ، وبالهيئة نفسها التي كانت عليه في الربيع السابق وكذلك
ايجاد جميع الازهار والثمار والاوراق للاشجار كافة - بسرعة كالبرق -
كما كانت في الربيع الماضي وكذلك تنبّه البُذيرات والنوى والبنور التي
لا تحصى ولا تعد - هي منشأ ذلك الربيع - في آن واحد معاً وانكشافها
واحيائها وكذلك نشور الجثث المنتصبة والهيكل العظمية للاشجار ،
وامتثالها فوراً لأمر « البعث بعد الموت » وكذلك احياء افراد من انواع
الحيوانات الدقيقة وطوائفها التي لا حصر لها بمنتهى الدقة والاتقان

وكذلك حشر أمم الحشرات - ولاسيما الذباب (المائل امام عيني والذي
يذكرنا بالوضوء والنظافة لقيامه بتنظيف يديه وعيونه وجناحيه باستمرار
وملاظفته وجوهنا) - الذي يفوق عدد ما ينشر منه في سنة واحدة عدد بى
آدم جميعهم من لدن آدم عليه السلام ، فحشر هذه الحشرة في كل ربيع مع
سائر الحشرات الاخرى واحياؤها في بضعة أيام ، لابد انه لا يعطي مثلاً
واحداً بل آلاف الامثلة على انشاء الاجساد البشرية فوراً يوم القيامة .

نعم ، لما كانت الدنيا هي دار « الحكمة » والدار الآخرة هي دار
« القدرة » فان ايجاد الاشياء في الدنيا صار بشيء من التدريج ومع الزمن .
بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب اغلب الاسماء الحسنى امثال « الحكيم ،
المرتّب ، المدبر ، المربي » . اما في الآخرة فان « القدرة » و « الرحمة »
تتظاهران اكثر من « الحكمة » فلا حاجة الى المادة والمدة والزمن ولا الى
الانتظار . فالاشياء تنشأ هناك نشأة آنية . وما يشير اليه القرآن الكريم
بـ « وما امر الساعة إلا كلمح البصر او هو اقرب » ، هو : ان ما ينشأ
هنا من الاشياء في يوم واحد وفي سنة واحدة ينشأ في لمحة واحدة - كلمح
البصر - في الآخرة .

واذا كنت ترغب ان تفهم ان مجيء الحشر امر قطعي كقطعية مجيء
الربيع المقبل وحتميته ، فانعم النظر في (الكلمة العاشرة) و (الكلمة التاسعة
والعشرين) . وان لم تصلق به كمجيء هذا الربيع ، فلك ان تحاسبني
حساباً عسيراً .

المسألة الرابعة :

وهي موت الدنيا وقيام الساعة ، فمثاله : انه لو اصطدم كوكب سيار
او مذنب - بأمر رباني - بكرتنا الارضية التي هي دار ضيافتنا ، لدمر
ماوانا ومسكننا (أي الارض) ، كما يلتمر في دقيقة واحدة قصر بني
في عشر سنوات .

القطعة الرابعة

من الدليل

« القرآن يهيء الأذهان للإيمان بالآخرة »

[قال من يحيي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي انشأها أول مرة • وهو بكل خلق عليم] • سورة يس/ ٧٨ ، ٧٩

فكما جاء في المثال الثالث في الحقيقة التاسعة للكلمة العاشرة ، أنه :
إذا قال لك احدهم : ان شخصاً عظيماً – في الوقت الذي ينشئ أمام
أنظارنا جيشاً ضخماً في يوم واحد – يمكنه ان يجمع فرقة كاملة من الجنود
المتفرقين للاستراحة بنفخ من بوق ، ويجعلهم ينضوون تحت نظام الفرقة ،
واجبته : لا ، لا ، أصدق ذلك ، ألا يكون جوابك وانكارك جنوناً وبلاهة ؟
كذلك ، فإن الذي أوجد اجساد الحيوانات كافة ، وذوي الحياة كافة ، من
العدم – تلك الاجساد التي هي كالفرق العسكرية للكائنات الشبيهة بالجيش
الضخم – ونظم ذراتها ولطائفها ووضعها في موضعها اللائق ، بنظام كامل
وميزان حكيم بأمر « كن فيكون » ، وهو الذي يخلق ، في كل قرن ، بل
في كل ربيع ، مئات الآلاف من انواع ذوي الحياة ، وطوائفها الشبيهة
بالجيش ... فهل يمكن ان يُسأل هذا القدير وهذا العليم : كيف سيجمع
بصيحة واحدة – من بوق اسرافيل – جميع الذرات الاساس والاجزاء
الاصلية من الجنود المتعارفين تحت لواء فرقة الجسد ونظامها ؟ وهل يمكن
ان يستبعد هذا منه ؟ أو ليس استبعاده بلاهة وجنوناً ؟

وكذلك فإن القرآن الكريم قد يذكر من افعال الله الدنيوية العجيبة

والبديمة كي يعدّ الاذهان للتصديق ويحضر القلوب لقبول افعاله المعجزة في الآخرة . أو أنه يصوّر الافعال الالهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل تقنع ونطمئن اليه بما نشاهده من نظائرها العديدة . فمثلاً .

[أوَ لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ٠٠٠]
الى آخر سورة (يس) ٠٠ هنا في قضية الحشر ، يثبت القرآن الكريم ويسوق البراهين لها ، بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة .

أولاً : انه يقدّم النشأة الاولى ، ويعرضها للانظار قائلاً : انكم ترون نشأتكم من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة الى خلق الانسان ، فكيف تنكرون اذن النشأة الاخرى التي هي مثل هذا بل أهون منه ؟ ثم يشير بـ « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » الى تلك الآلاء وذلك الاحسان والانعام الذي انعمه الحق سبحانه على الانسان ، فالذي ينعم عليكم مثل هذه النعم ، لن يترككم سدى ولا عبثاً ، لتدخلوا القبر وتناموا دون قيام . ثم انه يقول رمزاً : انكم ترون احياء واخضرار الاشجار الميتة ، فكيف تستبعدون اكتساب العظام - الشبيهة بالحطب - للحياة ولا تقيسون عليها ؟ ثم هل يمكن ان يعجز مَنْ خلق السماوات والارض عن احياء الانسان واماتته وهو ثمره السموات والارض ؟ وهل يمكن من يدير أمر الشجرة ويرعاها ان يهمل ثمرتها ويتركها للآخرين ؟! فهل تظنون أن يُترك للعبث « شجرة الخلقة » التي عجنت جميع اجزائها بالحكمة ، ويهمل ثمرتها ونتيجتها ؟ وهكذا فان الذي سيحييكم في الحشر هو : مَنْ بيده مقاليد السموات والارض ، وتخضع له الكائنات خضوع الجنود المطيعين لأمره فيسخرهم بأمر « كن فيكون » تسخيراً كاملاً ٠٠٠ ومَنْ عنده خلق الربيع يسير وهيّن كخلق زهرة واحدة ، وايجاب جميع

الحيوانات سهل امام قدرته كايجاد ذبابة واحدة • فلا ولن يُسأل -
للتعجيز صاحب هذه القدرة : « مَنْ يحيي العظام » ؟

ثم انه بعبارة « فسبحانَ الذي بيده ملكوت كل شيء » يبين انه
سبحانه بيده مقاليد كل شيء ، وعنده مفاتيح كل شيء ، يقلب الليل
والنهار ، والشتاء والصيف بكل سهولة ويسر كأنها صفحات كتاب ،
والدنيا والآخرة هما عنده كمنزليْن يفلق هذا ويفتح ذاك • فما دام
الأمر هكذا فان نتيجة جميع الدلائل هي : « واليه تُرجعون » اي : انه
يحييكم من القبر ، ويسوقكم الى الحشر ، ويوفي حسابكم عند ديوانه المقدس .
وهكذا ترى ان هذه الآيات قد هيأت الاذهان ، واحضرت القلوب
لقبول قضية الحشر ، بما أظهرت نظائرها بافعال في الدنيا •

هذا وقد يذكر القرآن ايضاً افعالاً اخروية بشكل يحسس ويشير
الى نظائرها الدنيوية ، ليمنع الانكار والاستبعاد فمثلا :

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • اذا الشمسُ كُوِّرَتْ • واذا النجومُ
انكسرتْ • واذا الجبالُ سُيِّرَتْ • واذا العِشَارُ عُطِّلَتْ • واذا الْوُحُوشُ
حُشِرَتْ • واذا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ • واذا الْنَفُوسُ زُوِّجَتْ • واذا الْمَوْودَةُ
سُنِّلَتْ • بايَ ذَنْبٍ قُتِلَتْ • واذا الصُّفُفُ نُشِرَتْ • واذا السَّمَاوَاتُ
كُشِطَتْ • واذا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ • واذا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ • عَلِمْتَ نَفْسُ
مَا احْضَرْتَ ۝ ٥٠٠] الى آخر السورة •

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • اذا السَّمَاوَاتُ انْفِطَرَّتْ • واذا الْكُوَاكِبُ
انْتَشَرَتْ • واذا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ • واذا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ • عَلِمْتَ نَفْسُ
مَا قَدَّمْتَ وَاخَّرْتَ ۝ ٥٠٠] الى آخر السورة •

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ • وَأَذْرَتْ لِرَبِّهَا
وَحَقَّتْ • وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ • وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ • وَأَذْرَتْ لِرَبِّهَا
وَحَقَّتْ ٠٠٠] الى آخر السورة •

فترى ان هذه السور تذكر الانقلابات العظيمة والتصرفات الربانية
الهائلة بأسلوب يجعل القلب امام الدهشة الهائلة التي يضيق العقل دونها
ويبقى في حيرة • ولكن الانسان ما أن يرى نظائرها في الخريف والربيع
إلا ويقبلها بكل سهولة ويسر • ولما كان تفسير السور الثلاث هذه يطول ،
لذا سنأخذ كلمة واحدة نموذجاً ، فمثلاً :

« وإذا الصحف نشرت » تفيد هذه الآية : « ستنتشر في الحشر جميع
اعمال الفرد مكتوبة على صحيفة » • وحيث ان هذه المسألة عجيبة بذاتها
فلا يرى العقل اليها سبيلاً ، إلا أن السورة كما تشير الى الحشر الربيعي
وكما ان للنقاط الاخرى نظائرها وأمثلتها كذلك نظير نشر الصحف ومثالها
واضح جلي : فلكل ثمر ولكل عشب ، ولكل شجر ، اعمال وله أفعال ،
وله وظائف • وله عبودية وتسبيحات بالشكل الذي تظهر به الاسماء
الالهية الحسنى ، فجميع هذه الاعمال مندرجة مع تاريخ حياته في بنوره
ونواه كلها • وستظهر جميعها في ربيع آخر ومكان آخر • أي انه كما يذكر
- بفصاحة بالغة - أعمال أمهاته وأصوله بالصورة والشكل الظاهر ، فانه
ينشر كذلك صحائف أعماله بنشر الاغصان وتفتح الاوراق والثمار •

نعم إن الذي يفعل هذا - أمام أعيننا - بكل حكمة وحفظ وتدبير
وتربية ولطف هو الذي يقول « وإذا الصحف نشرت » •

وهكذا قس النقاط الاخرى على هذا المنوال • وان كانت لديك قوة
استنباط فاستنبط • ولأجل مساعدتك ومعاونتك سنذكر « إذا الشمس

كوورت « ايضاً • فان لفظ « كوورت » الذي يرد في هذا الكلام هو بمعنى :
لُفَّت وجمعت ، فهو مثال رائع ساطع فوق أنه يومية الى نظيره ومثيله
في الدنيا :

اولا : ان الله سبحانه وتعالى قد رفع ستائر العدم والاثير والسماء ،
عن جوهره الشمس التي تضيء الدنيا كالمصباح ، فأخرجها من خزينه رحمته
واظهرها الى الدنيا • وسيلف تلك الجوهرة بأغلفتها عندما تنتهي هذه
الدنيا وتنسد أبوابها •

ثانياً : ان الشمس موظفة ومأمورة بنشر غلالات الضوء في الاسحار
ولفها في الاماسي وهكذا يتناوب الليل والنهار على هامة الارض ، وهي
تجمع متاعها مقللاً من تعاملها ، أو قد يكون القمر - الى حد ما - نقاباً
لاخذها وعطائها ذلك ، أي كما ان هذه الموظفة تجمع متاعها وتطوي دفاتر
اعمالها بهذه الاسباب فلا بد من أن يأتي يوم تعفى من مهامها ، وتفصل من
وظيفتها ، حتى ان لم يكن هناك سبب للاعفاء والعزل • ولعل توسع ما
يشاهده الفلكيون على وجهها من البقعتين الصغيرتين الآن اللتين تتوسعان
وتتضخمان رويداً رويداً • تسترجع الشمس - بهذا التوسع - وبأمر رباني
ما لُفَّت ونشرته على رأس الارض باذن الهي من الضوء • فتلف به نفسها •
فيقول رب العزة : الى هنا انتهت مهمتك مع الارض ، فهيّا الى جهنم
لتحرق الذين عبدوك وأهانوا موظفاً مسخراً مثلك وحقوقه متهمين إياه
بالخيانة وعدم الوفاء • بهذا تقرأ الشمس الامر الرباني « اذا الشمس »
كوورت « على وجهها المبقع •

القطعة الخامسة

من الذيل

« الاجماع الكلي على حقيقة الآخرة »

ان مائة وأربعة وعشرين ألفاً من أسمى البشر وهم الانبياء عليهم السلام - كما هو ثابت بنص الحديث - يخبرون بالاجماع والتواتر والاتفاق عن وجود الآخرة ، وعن سَوَق الناس اليها ، وان الله سيأتي بها حتماً مستنديين على الشهود - عند بعضهم - وعلى حق اليقين عند الآخرين ، ويصدق هذا مائة وأربعة وعشرون مليوناً من الاولياء كشفاً وشهوداً ويعلم اليقين ٠٠٠ فهذه الشهادات - مع تجليات جميع الاسماء الحسنى للصانع الحكيم الظاهرة على أرجاء هذه الدنيا - تقتضي وجود عالم البقاء وتدل على وجود الآخرة ٠٠٠ وكذلك القدرة المطلقة والحكمة الأبدية التي لا اسراف فيها والتي تحيي في كل ربيع ما لا يعد ولا يحصى من جنائز الاشجار المينة المنتصبة القائمة على سطح الارض بأمر « كن فيكون » وتجعلها رمزاً لـ « البعث بعد الموت » والتي تحشر وتنشر مئات الآلاف من نماذج الحشر والنشور باحيائها ثلاثمائة ألف نوع من الحيوانات والنباتات وطوائفهما ٠٠ وكذلك الرحمة الدائمة ، والعناية الفائقة التي تقدم الرزق الى المحتاجين من ذوي الحياة برأفة كاملة وشفقة بالغة وبصورة خارقة معجزة، والتي تظهر ما لا يحصر من انواع الزينة والمحاسن في كل ربيع ٠٠٠ كل ذلك يستلزم بالبداهة وجود الآخرة .

وكذلك عشق البقاء والشوق الى الابد والامال السرمدية ، تلك الصفات الدائمة التي لا تتزعزع والمغروزة في الانسان الذي هو افضل ثمرة للكائنات واكملها ، واجب مخلوق عند خالق الكائنات ، وأوثق علاقة بالموجودات . . . كل ذلك يشير بداهة ويدل على أن بعد هذا العالم الفاني هناك عالمًا بافياً وداراً خالدة سعيدة . . . فكل ما سبق يثبت ذلك بشكل قاطع وثابت حتى يجعل الايمان بوجود الآخرة بديهية كبداية وجود الدنيا (١) .

فما دام أهم دوس يلقتنا به القرآن الكريم هو « الايمان بالآخرة ، وان هذا الايمان ثابت وذا حجة بالغة الى هذه الدرجة ، وأنه يحمل من الرجاء والشفاء والامل ما لو اجتمعت شيخوخة مائة ألف من الناس في شخص واحد لكفاه السلوان النابع من الايمان بالآخرة » .

فعلينا — نحن الشيوخ — ان نفرح بشيخوختنا قائلين :
« الحمد لله على كمال الايمان »

(١). يتبين من المثال الآتي ، أن في إخبار « الامر الثابت » يسر وسهولة بخلاف انكاره ونفيه ، ففيه الصعوبة البالغة والمشكلات العويصة :-
اذا قال أحدهم : ان هناك على الارض حديقة غريبة تثمر علب الحليب ، وقال الآخر : لا ، لا يوجد شيء من هذا ! . فيكتفي عندئذ لمن يريد أن يثبت ان يشير الى مكانها ، أو أن يبرز بعض الثمار منها أما المنكر فلأجل ان ينفي وجودها من على الكرة الارضية — اثباتاً لدعواه — ينبغي له رؤية وراءة الكرة الارضية قاطبة . ومثل هذا تماماً أولئك الذين يخبرون عن وجود الجنة ، فيكفيهم ثبوت شهادة شاهدهين صادقين ، حيث انهم يظهرون مئات الآلاف من ترشحاتها وثمراتها وآثارها . اما اثبات جحودها وانكارها ، فعلى المنكرين رؤية الكائنات التي لا حد لها والنظر في الزمان الابدي الذي لا نهاية له ، للبحث عنها ، ومن ثم يمكن اثبات انكارها ونفيها واثبات عدمها .
فيا من بلغ به الكبر عتياً ويا أيها الاخوة ! اعلموا أنه ما أعظم قوة الايمان بالآخرة وما اشد رصانته .

فهرس

٥	تقديم
١٦	« صور دالة على الحشر »
٣١	المقدمة : الاشارة الاولى « الكون لا بد له من مبدع »
٣٤	الاشارة الثانية : « وظائف النبوة »
٣٦	الاشارة الثالثة : « شبهتان ودفعهما »
٣٧	الاشارة الرابعة : « العالم الفاني دليل على العالم الباقي »
٣٩	الحقيقة الاولى : تجلى اسم الرب
٤٠	الحقيقة الثانية : تجلي اسم الكريم والرحيم
٤٤	الحقيقة الثالثة : تجلي اسم الحكيم والعاقل
٤٧	الحقيقة الرابعة : تجلي اسم الجواد والجميل
٥١	الحقيقة الخامسة : تجلي اسم المجيب والرحيم
٥٧	الحقيقة السادسة : تجلي اسم الجليل والباقي
٦٤	الحقيقة السابعة : تجلي اسم الحفيظ والرقيب
٦٨	الحقيقة الثامنة : تجلي اسم الجميل والجليل
٧٠	الحقيقة التاسعة : تجلي اسم الحي القيوم والمحبي والمحيي
٧٦	الحقيقة العاشرة : تجلي اسم الحكيم والكريم والعاقل والرحيم
٨٣	الحقيقة الحادية عشرة : تجلي اسم الحق
٨٦	الحقيقة الثانية عشرة : تجلي بسم الله الرحمن الرحيم
٨٩	الخاتمة
٩٧	القطعة الاولى من ذيل رسالة الحشر
	المقدمة : النقطة الاولى : « ضرورة عقيدة الآخرة لحياة الانسان
١٠١	الفردية والاجتماعية »
١٠٥	النقطة الثانية : « شهادة سائر الاركان اليمانية على الآخرة »
١١٧	القطعة الثانية : « الحياة تثبت اركان الايمان الستة »
١٢٦	القطعة الثالثة : « امثلة مشهودة عن الحشر »
١٢٩	القطعة الرابعة : « القرآن يهبي الازهان للايمان بالآخرة »
١٣٤	القطعة الخامسة : « الاجماع الكلي على حقيقة الآخرة »

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٠٩٢ لسنة ١٩٨٤.

تم طبع الكتاب في ١٩٨٤/٧/٢٨ بعدد ثلاثة آلاف نسخة

نعم ، كما ان الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون ،
والشعور والحس مترشحان من الحياة ، فهما خلاصتهما ،
والعقل مترشح من الشعور والحس ، فهو خلاصة الشعور ،
والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة ، فهي ذاتها الثابتة
المستقلة ، كذلك الحياة المحمدية - المادية والمعنوية - مترشحة
من روح الكون ، والرسالة المحمدية كذلك مترشحة من حس
الكون وشعوره وعقله ، فهي اصفى خلاصته ، بل ان حياة
محمد صلى الله عليه وسلم - المادية والمعنوية - بشهادة آثارها
حياة لحياة الكون ، والرسالة المحمدية شعور لشعور الكون
ونور له . والوحي القرآني - بشهادة حقائقه الحيوية - روح
لحياة الكون وعقل لشعوره أجل أجل .

فاذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات
الكون وتوفيت الكائنات ، واذا ما غاب القرآن وفارق الكون ،
لجن جنونه ولفقدت الكرة الأرضية صوابها ، ولزال عقلها ،
ولظلت دون شعور ولاصطدمت باحدى سيارات الفضاء .
ولقامت القيامة .